مسار السنونو

(رجل من زمن البطولات)

رواية

جمعة الحلفي

كوردستان ـ الطبعة الثانيه

من منشورات مجلة گولان

(٧)

صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: فرهاد محمد

اسم الكتاب:	مسار السنونو أو (رجل من زمن البطولات)
المؤلف :	جمعة الحلفي
الغلاف والتصميم الداخلي:	لقمان رشيدي
المشرف على الطبع:	بهاءالدين جلال مصطفى
عدد النسخ:	الطبعة الثانية/ ١٠٠٠ نسخة
اسم المطبعة:	رۆژهەلات

رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات العامة ( ) لسنة ٢٠١٣

مسار السنونو

جمعة الحلفي

مقدمة

تعـد الرواية التأريخية من أهـم النتاجات الأدبية وأكثرهـا منفعة وإمتاعا؛ إذ أنهـا تتطلـب من كاتبها مهـارة فنية فائقة لدمج خيالـه وتصوراته مع الحقائق والأحداث التأريخية، وبهذا يقوم من جهة بتسـجيل التاريخ وتوثيقه، ومن جهة أخـرى يضفي بعـدا فنيا الى هذا التأريخ يتلذذ به القـارئ... إن الكثيرين منا اطلعـوا علـى جوانب عدة مـن حادثة تأريخية كبرى من خـلال رواية (الحرب والسلام) لتولستوي – ألا وهي حادثة هجوم قوات نابليون على روسيا ومن ثم تقهقرهـا منهزمة؛ كما اطلعنا على تأريخ و كثير من جوانب الحياة الاجتماعية لقـوزاق روسـيا علـى ضفاف نهـر الدون من خـلال رائعة شـولوخوف (الدون الهادئ) و(تراس بولبا) لغوغول؛ و كذلك جوانب من أحداث الثورة الفرنسـية

من رواية (البؤساء) لفكتور هيجو... وأخرى كثيرة.
إن نكهة وفاعلية الرواية التأريخية تزدادان أكثر فيما لو أصبحت نتاجا فنيا سينمائيا؛ الأعمال الأدبية الآنفة الذكر قد عرضت على الشاشات السينمائية في أرجاء العالم كنتاجات سينمائية و رأينا أنها قد ارتقت، من الناحية الفنية (السيناريو و الإخراج)، الى مصاف رقي الأعمال الأدبية نفسها، لا بل زادت كثيرا من روعتها وفاعليتها الوجدانية.
في الحقيقة، إن تأريخ الشعوب مليء بالوقائع والأحداث وكل منها يستحق أن ينعكس في عمل أدبي أو سينمائي لائق؛ ولا نغالي في أن تأريخ الشعب الكوردي هو الأغنى في ذلك... إذ قلما توجد في كوردستان مدينة أو قرية، سهلاً أو جبلاً أو وادياً أو ضفاف نهر تخلو من رواية إحدى حكايات الحروب والإصطدامات، الحب والكره والغدر وكذلك الإنتقام، و كل منها يليق بأن يكون مضمونا لنتاج أدبي أو سينمائي.
إن الأديب والكاتب المرموق العراقي السيد (جمعة الحلفي) في روايته التأريخية (مسار السنونو- أو رجل من زمن البطولات) يقول لنا ذلك، ولكن ليس بالكلام والنصيحة، بل من خلال نتاج أدبي متميز عن حادثة كبرى في تأريخ كوردستان – وهي تأسيس جمهورية كوردستان في مهاباد واضمحلالها وهجرة البارزانيين على اثر ذلك الى الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٤٦.
في مقدمة مختصرة و لكنها ملفتة للغاية، يسرد الكاتب قصة بداية حبه للشعب الكوردي، و ذلك في سجون بغداد حيث احد المسجونين الكورد وهو (كاكه

حسن) من أهالي أربيل يصاحبه فيطلعه على تأريخ الكورد و نضالهم وأحوالهم المأساوية؛ وعند خروجه من السجن يوصيه كاكه حسن بأن يزور كوردستان... ينفذ الكاتب هذه الوصية متأخرا.

لقد وفق السيد الحلفي في اختيار موضوع روايته، وهو الذي يحتل مكانة ثابتة في قلوب وذكريات الشعب الكوردي حيث ينظرون إليه كتجسيد فعلي لحلم تأريخي تحقق وكاد أن يستمر، كما وجسد كل أنواع البطولات والإقدام والتضحيات من قبل شخصيات ملحمة المسيرة التأريخية عبر الأهوال والجبال والدول إلى الإتحاد السوفيتي – وهم، أي الشخصيات، البارزاني الخالد ورفاقه الخمسمائة.

والأمر البارز هنا هو أن الكاتب في خضم سرد الأعمال الحربية وسياسات واستراتيجيات الدول والطموحات القومية للشعب الكوردي، تظل راسخة في باله تفاصيل الحياة اليومية لشخصيات روايته وما يتخللها من المناوشات الكلامية، الحب والغيرة، الكراهية والمكائد، الفرح والدبكات... ويجد في ثنايا الحدث الرئيس مكانا لذلك كله، مما يضفي أبعادا واقعية للمشهد وبذلك يثبت الكاتب إن عمله الأدبي يصور مشهدا إنسانيا بكل ما للكلمة من معنى.

وما يجذب الاهتمام أيضا العنوان الرئيس الذي اختاره الكاتب لروايته، وهو (مسار السنونو) الذي مع انه ذو معنى وفي محله، غير انه يبقي الرواية في إطار عمل أدبي بحت، والسبب كما نرى هو أن الكاتب، بما يمتاز به من خلفية نضالية، قد تجنب حشر الإسم المهيب للبارزاني في عنوان نتاج أدبي خوفا من أن يساء فهمه؛ فلولا ذلك، لكانت هذه على الأرجح أكثر من (الطبعة

الثانية)!
وكما أشـار الكاتب نفسـه، فانه قد اعد الرواية كسيناريو لعمل سينمائي في ٤٩ مشـهدا – فهـي إذا تنتظر فقط من يتولاهـا ويضعها بين أيدي مخرج موهوب لتصبح نتاجا فنيا سينمائيا عالميا عن ملحمة عبور الزعيم الكوردي (البارزاني الخالد) ورفاقه نهر آراس.
إن رواية كهذه ذات مستوى أدبي لائق وبقلم كاتب مرموق، صديق ومحب للشعب الكوردي، ليسـت فقط جديرة بالاهتمام، بل و تستوجب الشد على يديه وإبداء كل الشكر له والتقدير لموهبته الفذة.

الدكتور رشاد ميران
في الاول من ايلول/ ٢٠١٣
المصادف ١٠ گەلاوێژ/ ٢٧١٣

مقدمة الطبعة الأولى

فـرح نـيروزي كان يغزو خلايا دمـي، وأنا أتابع قراءة هذا النـص الأدبي الإبداعي الجميل (مسار السنونو) هذا النص الذي احتلني كلياً وغيبني عن ما حولي وشدني بقوة إلى صفحاته وأحداثه الإنسـانية وصور القسـوة المتناهية والكبرياء الكوردي، الذي لا يرضى إلا بالحرية والعيش بسلام ولو كان الثمن بحاراً من الدماء...

في هـذا النـص الأخاذ اسـتطاع الكاتب المبدع جمعة الحلفـي أن يقترب من صميم القائد الكوردي الرمز ـ مصطفى البارزاني ـ ونضاله المستميت من أجل عزة الأكراد وبناء غدهم المشرق، خاصة في تلك الفترة الحساسة جداً من نضال الشعب الكوردي والمتمثلة في حقبة انهيار جمهورية كوردسـتان في مهاباد، ومحاولة القضاء كلياً على رموز الجمهورية وكسـر شـوكتهم من قبل سـلطات شـاه إيران، حيـث يتصدى لها البارزاني الخالد ببيشـمركَته البارزانيين الأبطال، الذين كانوا سـند الجمهورية في

مهاباد. والبارزاني الخالد، الذي اشتهر بإنسانيته وعبقريته العسكرية، يقاوم جيوش الشاه ويقرر إنقاذ بيشمركته ويتجه بهم صوب أراضي الروس، في ظل ظروف دولية شـائكة. وهنا يأتي دور الكاتب المبدع جمعة الحلفي ، الذي يعود بالزمن إلى الوراء ليستحضر تلك الأيام الرهيبة والعصيبة من حياة الكورد وقائدهم الفذ البارزاني، وليؤكد سـلامة قراره التاريخي بالانسحاب، ومواقفه الإنسانية وعلاقاته الطيبة مع رفاق رحلته..

والكاتب جمعة الحلفي، في نصه الإبداعي «مسـار السـنونو» الذي يعتمد على حادثة تاريخية، يسمح لخياله الخصب بالتحليق وخلق صور وأحداث فانتازية هادئة تضيف للواقعة التاريخية رتوشاً أدبية لتؤكد قوة قلم الحلفي في المزاوجة بين الواقع والخيال الفني المطلوب في مثل هذه الأعمال.

وفي نصه هذا يؤكد الحلفي نبذ البارزاني للإرهاب بكل أشكاله والذي أصبح دستوراً مقدساً التزمت به الحركة التحررية الكوردية منذ بداياتها الأولى والى اليوم، مما يدل على عظمة البارزاني ونهجه القومي التقدمي السـليم في النضال ورفضه التام لكل أشكال الإرهاب والعنف.

أن يتنـاول كاتـب عربي القضيـة الكوردية من النواحي السياسـية أو الاجتماعية أو التاريخيـة، أمر طبيعي لكن عندمـا يتناول الكاتب العربي هذه القضية من الناحية الفنية فيكتب نصاً إبداعيا يؤرخ لمرحلة من مراحل النضال الكوردي، فهذا أمر نادر ومدعاة لقراءة خارج السـياق التقليدي لعلاقة الكاتـب والباحث بموضوعة البحث أو التحليـل، ذلـك ان مثل هـذه الكتابة (الإبداعية) تؤكد جملـة من الحقائق التي

غيبها التطاحن السياسي وإنتشار الروح العصبوية القومية. ومن هذه الحقائق ان المبدع الأصيل، لأية قومية انتمي، يظل «مبدعاً» يتمتع بحس إنساني تمليه عليه عملية الإبداع نفسها بوصفها صيرورة أخلاقية ونفسية بدئية وصادقة. كما تعني أيضاً، إن نضال الشعوب والقوميات من أجل تحررها وإنعتاقها هو نضال مشترك ومشروع ويحظى دائماً بأنصاره المدافعين عنه، حتى بين القوميات الكبيرة صاحبة الباع في اضطهاد القوميات الأصغر. وهو يعني أيضاً إن النخبة المثقفة والمبدعة، تتمتع بقدر كبير من استقلالية الرؤيا خارج نطاق القيود التي تفرضها الانتماءات والإثنيات والأفكار المتعصبة، وهو حس يرتقي في معانيه إلى ذرى التوحد مع الهم الإنساني. وفي الحالة العراقية يكتسب الأمر أهمية إضافية فبعد سلسلة من مرارات الإضطهاد والصراع وعقود من النكبات والكوارث، يبدو واجب إعادة اللحمة وترميم ما تهدم في العلاقة التأريخية بين الشعبين الشقيقين (العربي والكوردي) واجباً أخلاقياً وإنسانياً قبل أن يكون واجباً سياسياً، وهو ما يفترض بالمثقفين والمبدعين من الجانبين لعب دورهم المأمول والحيوي في هذا الشأن، وجمعة الحلفي، بحسه المرهف، يستحق منا نحن الكورد كل الشكر والثناء والمحبة، في خطوته الأولى في هذا المجال.

حسن سليفاني - رئيس اتحاد الأدباء الكورد/ دهوك

٢٠٠٢/١١/٢٠

مفتتح

في خريف العام ١٩٦١ حكمت محكمة الرصافة في بغداد، على شـقيقي الأكبر، بالسـجن ثلاث سـنوات، بتهمة الدفاع عن «السـلم في كوردستان». كان عمري، يوم ذاك، عشر سنوات، لكنني أتذكر كيف كانت أمي تندب حظها العاثر وتولول أثناء صلاة المغرب وهي تردد بصوت خافت: اللهمَّ انصر عبد الواحد والأكراد على الحكومة.

وعبد الواحد هو شقيقي، الذي حكمت عليه محكمة الرصافة بالسجن لأنه كان من المشـاركين في الحملة، التي نظمها الحزب الشـيوعي العراقي للتضامن مع الشعب الكوردي، تحت شعار (السلم في كوردستان).

في بداية كل شهر كنا، أمي وأنا وأحياناً بعض أخوتي، نذهب لزيارة عبد الواحد

في معتقل الفضيلية القريب من قناة الجيش شرق بغداد، ونأخذ له معنا، في كل مـرة، صرراً محشـوة بالفواكه والتمر والخبز، مـع صفرطاس من أربع طبقات مليئـاً بالـرز العنبر والباميا والفاصوليا اليابسـة، المطبوخـة باللحم. نفترش مع أخي جانباً من سـاحة المعتقل، الفسـيحة المبلطة بالإسفلت، يحيط بنا، من كل جانـب، بقيـة المعتقلين وزوارهم، مع حشـد من الأطفـال والصبيان، الذين يجلسون بين أهاليهم بكل تهذيب، خوفاً من رجال الشرطة الذين يشرفون، من أسوار المعتقل العالية، وهم يصوبون بنادقهم نحونا.

كنتُ اسأل أخي عبد الواحد، السؤال ذاته، كلما زرناه في معتقل الفضيلية (ماذا فعلـت حتى حبسـوك؟) وكان يجيبني بابتسـامة عابرة وهو يربـت على كتفي: (عندما تكبر ستعرف لماذا حبسوني).

بعد ثلاث سـنوات كبرتُ قليلاً لكن أخي عبد الواحد لم يخرج من السـجن كما كان متوقعاً بل أصبحت زياراتنا له في المعتقل صعبة ومتباعدة، وعندما سـألت أمي، يوماً، عن السـبب، لم تجبني بل أشـاحت بوجهها عني وبكت وهي تولول: اللهّم انصر عبد الواحد والأكراد على البعثيين.

بعد أن خرج عبد الواحد من السـجن، في خريف العام ١٩٦٨ كان البعثيون قد جاءوا إلى السـلطة وذهبوا، ثم جاءوا مرة ثانية. وكنتُ كبرتُ بما يكفي لمعرفة الأجوبة المطلوبة عن تلك الأسئلة الطفولية، لكن أخي عبد الواحد كان قد تهدم جسـداً وروحاً ولم يعد في وارد أن يخبرني لماذا حبسـوه كل هذه السنوات لمجرد أنه كان يدافع عن السـلم في كوردسـتان. ومع أنه كان قد طلّق السياسـة، منذ

خروجه من السجن، طلقة بائنة، وانهمك بتدبير لقمة العيش لنصف دزينة من بناته الصغيرات، إلا أن ذلك لم يوقف مضايقات الحكومة له ولم يبدد شكوكها، التي ظلت تحوم حوله، لمجرد أنه أطلق على ولده البكر اسم (سلام) وبقي يحتفظ بشاربه الستاليني الغليظ، الذي كان يميز الشيوعيين العراقيين عن سواهم من خلق الله.

في ربيع العام ١٩٧٢ سألني المحقق في مديرية الأمن العامة، عن النشاط السياسي لعائلتي، وعندما علم بإن أخي الأكبر كان مسجوناً بتهمة الدفاع عن الأكراد وكوردستان، مد يده إلى أذني وعقصها بقسوة وهو يردد بسخرية: أهل العمارة وين وأهل سليمانية وين؟ وعندما أتذكر اليوم، بعد ثلاثين سنة، عقصة ضابط الأمن تلك، أشعر بألم في أذني اليسرى، مثلما أشعر بالتقزز من روح التعصب والحقد والتعالي، التي كانت تعاملنا بها نحن والأكراد، حكومات الأوباش تلك.

بعد انتهاء جلسة التحقيق، التي حفلت بالإهانات والضرب والركل، أعادوني إلى قاعة المعتقل، وكنتُ حزيناً ومهزوماً، فكان (كاكه حسن) أول من استقبلني عند الباب الحديدي. أخذ بيدي إلى زاوية القاعة وراح يمسح الكدمات في وجهي بقماشة مبلولة بالماء.

كان (كاكة حسن) معتقلاً في قصر النهاية قبل أن يأتوا به إلى الأمن العامة، إثر إغلاق ذلك القصر المشؤوم، بعد وقوع ما يسمى بـ (مؤامرة ناظم كزار) مدير الأمن العام، وادعاء النظام بأنه لم يكن على دراية بالجرائم التي كانت

ترتكب فيه. وحين وزعوا سجناء القصر على المعتقلات الأخرى، كانت حصتنا نحو عشرة معتقلين، كان من بينهم (كاكه حسن) أستاذ الجغرافيا في إحدى ثانويات أربيل. عندما جاءوا به من قصر النهاية بقي (كاكه حسن) أياماً عدة مرتاباً بمن حوله، لا ينطق بحرف ولا يكلم أحداً، جرّاء حالة الخوف والاعتياد على الصمت. فقد قال لي يوماً، بعدما انفكت عقدة لسنه، أنه بقي سنة كاملة، يقبع في زنزانة ضيقة ومظلمة، لم ينطق خلالها كلمة واحدة ولم يرَ بشراً، حتى تحوّل الصمت لديه إلى ما يشبه العادة أو المرض. وعندما نجحنا، أنا وصديق آخر، في فك عقدة لسانه وإعادته إلى حالته الطبيعية، شعرنا، بعد أيام، بالندم على فعلتنا تلك لأننا لم نستطع، بعد ذلك، إيقاف (كاكه حسن) عن الكلام لا في الليل ولا في النهار. وخلال شهرين تقريباً، درست على يد (كاكه حسن) كل صغيرة وكبيرة عن حياة الشعب الكوردي ونضالاته وتضحياته وعاداته وتقاليده وقصصه وحكاياته، بما في ذلك تلك القصة المدهشة عن رحلة الزعيم البارزاني، إثر انهيار جمهورية مهاباد في العام ١٩٤٦ هو وخمسمائة من رفاقه ومقاتليه، من حدود إيران حتى حدود الاتحاد السوفييتي، مشياً على الأقدام في عز الشتاء والبرد والأمطار والثلوج والقحط والجوع والعطش. الشيء الوحيد الذي لم يستطع (كاكه حسن) تعليمي إياه، هو اللغة الكوردية، فقد كنا، يوم ذاك، نعتقد أن لغة المستقبل، التي يجب أن نتعلمها قبل أية لغة أخرى، هي الروسية، أو السوفيتية، أي لغة الاشتراكية والشيوعية، التي ستعم العالم، من أقصاه إلى أقصاه، بين ليلة وضحاها، لكننا للأسف سرعان ما خُذلنا، ليس باللغة وحدها

إنما بالاتحاد السوفييتي نفسه وبالاشتراكية التي كنا نأمل بانتصارها غداً.
عندما أُطلق سراحي من معتقل الأمن العامة بقي (كاكه حسن) هناك. ولا أزال أتذكر كيف ودعني وهو يضحك ويبكي في آن واحد، وكانت وصيته لي، قبل أن يقبّلني على جبيني: أرجوك أذهب إلى كوردستان كي تتأكد أن ما يربط الأكراد بالعرب أقوى من دعايات الحكومة.
انتظرت ثلاث سنوات أخرى قبل أن أذهب إلى كوردستان لألبي، متأخراً، دعوة صديقي (كاكه حسن) الذي لم أره بعد ذلك أبداً، وعندما ذهبت إلى هناك تأكدت من كل كلمة قالها لي، لا عن وفاء الأكراد وكرمهم وسماحتهم واحترامهم للآخرين فقط، بل وعن مظالم الحكومات التي تكبدوها طوال عقود، وعن روح العداء والتعصب، التي كان يضمرها لهم رجال تلك الحكومات. ففي صيف العام ١٩٧٥ (وكان القتال في الشمال قد اندلع مجدداً بعد توقيع صدام حسين اتفاقية الجزائر مع شاه إيران، وهي الاتفاقية التي سمحت للحكومة في بغداد، باجتياح وسحق الحركة الكوردية مقابل التنازل عن أجزاء من شط العرب لإيران) نظّمت وزارة الدفاع في بغداد رحلة لمجموعة من الصحفيين العراقيين والعرب، لزيارة ما كانت تسميه، حينذاك، بـ «المناطق المحررة في شمال الوطن» وهي عبارة تشي بإحداثيات حرب بين بلد وآخر، أو بين دولة ودولة أخرى، في حين كان الأمر يتعلق بحرب إبادة تشنها السلطة المركزية القومية (العراقية) ضد الشعب العراقي (الكوردي) في الشمال.
كان بصحبتي، في تلك الرحلة، الصديق الكاتب زهير الجزائري، عندما دعانا

قائـد الفرقـة الثامنة المرابطة في أربيل، الجنرال سـعيد حمو، لرؤية الأسـرى الأكراد، ممن كانوا يسمون بـ «العائدين إلى الصف الوطني» وهي عبارة أخرى ملطفة لكنها أكثر سـفالة من سـابقتها، فعلى خلاف «الوضع الإنسـاني» الذي وعدنا الجنرال حمو برؤيته، كان مشـهد أولئك «العائدين» أشبه بمشهد العبيد في فيلم (سبارتكوس) الشهير.

كانوا شـبه عراة معصوبي العيون ومقيدين بسلاسل الحديد إلى أوتاد مغروسة في الأرض، معفريـن بالطـين والدمـاء والـتراب، بعضهم يئن من جـراح بليغة وبعضهم الآخر يتوسل الحصول على شربة ماء.

حـين كان الجنـرال حمو يشـرح لنا كيف اسـتطاع ضباطه وجنوده الأشـاوس، اصطياد هذه الأجساد البشرية المتهاوية والمشرفة على الموت، في أية لحظة، من الجوع والعطش والإذلال، شـعرت بالاشمئزاز والقرف، وتصورت ذلك الجنرال (الذي قال لنا يومها، أن صدام حسـين شـخصياً اسـتدعاه من بيته خصيصاً لمعالجـة التمـرد الكوردي) وكأنه خنزير في بزة جنـرال، فقلت، حينها، لزميلي زهير: مبروك لنا هذه الانتصارات العظيمة.. ثم خرجنا سوية نبحث عن خمارة نطفىء فيها غضبنا واشمئزازنا.

في الطريـق، مـن أربيل إلى منطقة حرير، حيث حُشـرت السـيارات التي تنقل الصحفيين، وسـط عربات ومدرعات قافلة عسـكرية كانت متوجهة إلى هناك، شـاهدنا، بأسـى وألم، نتائـج وآثار البطـولات التي اجترحها مبعـوث صدام، الجنـرال سـعيد حمو لـ «معالجـة» التمرد الكـوردي، فعلى طول ذلـك الطريق

المقفـر، كنا نرى بالعين المجردة، عشـرات القرى والقصبـات والبيوت والمزارع والبسـاتين وهـي تحترق عن بكـرة أبيها، أو وهي رماد تنبعـث منه بقايا دخان الحرائـق، يومهـا فقط، عرفت، على وجه الدقة، معنى ذلك المصطلح المشـؤوم (سياسـة الأرض المحروقة) تلك السياسـة التي لا تستهدف تدمير حياة البشر فقط، بل وكذلك تدمير سبل استعادة هذه الحياة.

وقد يكون من سوء حظ الجنرال حمو (الذي كان يتباهى أمامنا، طوال السهرة التي أقامها للصحفيين وسـط معسـكر الفرقة الثامنة، بقيـام ضباطه وجنوده الأشـاوس بإعادة «حرث» أراضي شمال العراق و«تنظيفها» من جيوب التمرد) إن صادفنا ما يؤكد قوة البشـر المؤمنين والمتشـبثين بحقهم في الحياة، في إزاء قوى التدمير مهما كان جبروتها. فقد اسـتطاع مقاتل كوردي واحد فقط، كان يتمـترس في قلـب كهف معلق على قمة جبل حرير، أن يبعثر قافلتنا العسـكرية علـى جانبي الطريق، وأن يوقف تحركها سـاعة كاملـة، ولم تتمكن القافلة من مواصلـة سـيرها إلا بعد قـدوم طائرة حربيـة حكومية قامـت بقصف الكهف لإسكات بندقية المقاتل الكوردي.

بعد نحو عشـرين سـنة من ذلـك التاريخ، وبعـد أن كانت الحـروب والأحداث والكوارث التي عاشتها كوردستان، قد جعلت من ارتكابات الجنرال سعيد حمو، تبـدو كذكرى عابرة في حياة الأكراد، مقارنـة بما ارتكبه الجنرالات الجدد من ممارسـات دمويـة فاقت التصور وبلغت حدود حرق القرى والبشـر بالأسـلحة الكيماويـة المحرمة دولياً، ذهبت إلى كوردسـتان مرة ثانيـة. لكن هذه المرة لم

تكن كسابقتها لسببين أساسيين، أو لهما أنني لم أذهب إلى «الشمال الحبيب» كما كنا نحرص على تسميته، من بغداد إنما ذهبت إليه من منفاي، الذي كان قد بلغ سن الرشد وصار عبئا ثقيلاً على الجسد والروح، ولذلك كانت عودتي إلى «أرض الوطن « أشبه بعودة الابن الضائع لحضن أمه. وثانيهما أن كوردستان كانت قد تخففت من أعباء المظالم وتخلصت من سطوة جنرالات السلطة المركزية ونزهاتهم الدموية في وديانها وسهولها وجبالها، ولهذا أيضاً كان عليّ، قبل أن أذهب، أن أستعد لزيارة من نوع آخر هو خليط من ذكريات مريرة موشاة بحنين منكسر لأرض وهواء وصداقات وتاريخ وصبوات وأحلام، ذرتها رياح الحروب والاستبداد والطغيان وجولات الاقتتال والتدمير الذاتي، مثلما كان استعداداً لفرح غامر بلقاء غير مرتقب مع وجوه برقت وانطفأت في زحمة الأيام والسنين فاستحالت ملامحها الأليفة إلى مجرد أطياف تتلامع في الذاكرة. كان أول تلك الوجوه، الذي ترآى لي على صفحة النهر وأنا أقطعه في قارب، متوجهاً الى الضفة الحبيبة، ضفة العراق وكوردستان، كان وجه أخي عبد الواحد، ذلك الذي علمني الأبجدية الأولى في أخّوة العرب والأكراد ومصيرهما المشترك، عندما خسر سنيناً عزيزة من شبابه في ظلمة الدهاليز دفاعاً عن السلام في ربوع كورستان، ثم خسر مستقبله من جراء ذلك، قبل أن يخسر حياته كلها من جراء الفاقة والعوز والمرض والفقدان وتكالب المحن والشدائد، في عراق كان يمكن أن يصبح قبلة الدول في الغنى والرفاهية والاستقرار لو توفرت له حكومة عاقلة تؤمن بحق البشر في الحياة ولا تسرقها منهم لأتفه

الأسـباب. ومن بـين تلك الوجوه أيضـاً، كان وجه (كاكه حسـن) وهو يودعني بقبلة حارة على جبيني، عندما تركته معتقلاً في مديرية الأمن العامة، تلاحقني وصيته العزيزة: اذهب إلى كوردستان لكي تكتشف أن روابط الأخوة بين الكورد والعـرب أقـوى من دعاية الحكومـة.. وها أنذا أنفّذ وصية كاكه حسـن ولكن لا لكي أكتشف تلك الروابط، فقد كنت اكتشفتها منذ سنين، وإنما لكي أؤكد تلك الروابط واساهم، قدر استطاعتي، في تعزيزها، ولهذا فقد كنت، قبل أن أذهب إلى كوردستان، قد أنجزت قصتي عن رحلة السنونو، رحلة مهاباد، حلم الكورد الأزلـي، رحلة المـوت والولادة معاً، رحلة احتراق وانبثـاق الطائر الخالد، طائر الفنيق، الذي تمثل الشـعوب في دأبها وإصرارها على الإنعتاق وابتداع المستحيل من أجل الحياة الحرة الكريمة، مثلما تمثلته الشـعوب في احتراقه وانبثاقه من بين الرماد. طائر السـنونو ومسـاره الأبـدي في الذهاب والإيـاب، كان هديتي لذكـرى أخي عبد الواحد، ولوجه صديقي كاكه حسـن، ولمثوية الزعيم الراحل الملا مصطفى البارزاني.

ج ٠ ح
اللاذقية/عين البيضا
خريف ٢٠٠٢

مسار السنونو

الفكرة الروائية لسـيناريو فيلم سينمائي يتناول فترة محددة من حياة الزعيم الراحل مصطفى البارزاني، وعلى وجه الخصوص فترة الانسـحاب من مهاباد إلى الحدود السوفيتية.

ملاحظة ضرورية:

جميع شـخصيات العمل عدا شـخصية الزعيم الراحل مصطفى البارزاني، هي شخصيات متخيلة. وكذلك بعض الأحداث الواردة في القصة.

شخصيات العمل

البارزاني: (هو الزعيم الخالد مصطفى البارزاني. شخصية كفاحية قوية ومرهوبة الجانب، يقدسها البعض من أبناء الشعب الكردي، تتميز بالشجاعة والإقدام وتحمّل المشاق والصعاب. كما تتميز بالذكاء الفطري الحاد والقدرة على تمييز الكذب والخداع، فضلاً عن إنها شخصية متواضعة لا تقبل التملق والمديح، وتمتلك نظرة ثاقبة.

من عاداته وهواياته المعروفة، لعب الشطرنج والاستماع لأخبار الراديو، والتدخين بشراهة (يستخدم غالباً التبغ المحلي ويلف سجائره بيده ويستعمل مبسماً للتدخين). له معرفة جيدة بأنواع وفوائد الأعشاب البرية، وهو يُعدّ من أصدقاء البيئة لأنه لم يكن يقبل بقطع الأشجار أو صيد الغزلان والأيائل من دون حاجة ضرورية. يرتدي على الدوام، الزي الكردي التقليدي (الشروال والعمامة الحمراء والبيضاء التي تميز البارزانيين).

الشخصيات الرئيسية:

شيروان: (في العقد الرابع من عمره، نحيف، وسيم، قائد عسكري ومستشار سياسي للملاّ مصطفى. شخصية عاطفية حالمة. يتميز بصداقته القوية وقربه من البارزاني).

ميديـا: (في العقـد الثالـث، ممتلئـة، وسـيمة، تتصف شـخصيتها بالشـجاعة والبسالة، تقود فصيلاً من المقاتلين الرجال).

نـوزاد: (في العقـد الخامـس. مقاتل وقائد فصيل الحراسـة، تتميز شـخصيته بالفظاظة والقسوة).

الطبيـب قادر (طبيب يلتحق بحملة الدفاع عن جمهوريـة مهاباد. ويؤدي دوراً مهماً كطبيب خلال المعارك والمواجهات المسلحة).

الشخصيات الثانوية:

نامق: (في العشرينات، مقاتل، أحد مرافقي الملا).

مخلـص: (في الخمسـينات.مقاتل، يجيـد الغناء وتحكى القصص عن عشـقه لفتاة كردية قتلها الإيرانيون).

ملازم خضر: (ضابط عراقي عربي) في الجيش العراقي، يرتبط بصلات وثيقة مع مصطفى البارزاني ويتعاطف مع الحركة الكردية).

رحمان: (مقاتل عجوز، فقد ساقه في إحدى المعارك).

صابر: (ثلاثيني. مقاتل).

(١)

ينبلج الفجر رويداً ليضيء الوادي. خيوط دخان متباطئة تتصاعد من بقايا مواقد، مختلطة بضباب وأبخرة تلف الوادي. خيم متناثرة ومتباعدة. مقاتلون نائمون على حواف الصخور وهم يمسكون ببنادقهم.

هدوء تام لا تقطعه سوى أصوات زقزقة عصافير وخرير مياه.

(٢)

حركـة دائبـة وخافتة لأقدام ثقيلة تتحرك بحـذر في زاوية الوادي، قرقعة سـلاح، غير مقصـودة. عيون تتلصص نحو الـوادي الغارق بالهدوء والضباب. ثم فجأة يُسمع دوي رصاص ينطلق من اتجاهات مختلفة نحو الوادي.

(٣)

فـزع وصراخ وحالة اضطراب وهياج تسـود الوادي. نسـاء وأطفال ورجال يتراكضون مذعورين للاحتماء بالصخور والأشجار. مقاتلون ينهضـون فزعين ليردوا على مصادر إطـلاق النار. أصوات انفجار قنابل.

يتحـول الـوادي، في لحظـات، إلى سـاحة حـرب. يسـتمر إطـلاق الرصـاص، ثـم يأتـي، من بعيـد، صوت أزيـز طائـرة هليوكوبتر. لحظـات وتظهر الطائرة فـوق الوادي، وتبدأ بالقصـف. انفجارات هنا وهناك وسقوط قتلى. خيّم تحترق من جراء القصف، ثم يُسمع صوت انفجار ضخم يهز جنبات الوادي، ناجم عن سقوط الطائرة، بعد إصابتها، وارتطامها بالصخور وهي تحترق.

(٤)

عجوز مبتور الساق يتلفع ببطانية ممزقة، يظهر من بين الخرائب ودخان الحرائق، وهو يلوّح بعصا طويلة باتجاه السماء (حيث ارتطمت الطائرة) كمن يتوعد أو يطلق الرصاص، وهو يعربد ويصرخ.

العجوز رحمان وهو يصوب عصاه نحو السماء:

ـ دُم.. دُم.. دم.. نعلات باوكت.. مرك بر بهلوي.. مرك بر شاه.. الموت.. الموت..

(يلتفت صدفة فيرى امرأة تحاول إنقاذ طفلها المصاب فيركض نحوها مسرعاً بقدمه الوحيدة. يلتقط الطفل بيد واحدة ويركض به نحو صخرة ضخمة،تتبعه الأم وهي تولول.. تأخذ منه الطفل وتنظر إليه بإمتنان).

(٥)

تتراجع أصوات الرصاص شيئاً فشيئاً.. يعود الهدوء تدريجياً إلى الوادي. يُسمع هسيس النيران وهي تلتهم الطائرة. دخان يتصاعد من بعض الخيم المحترقة. أنين جرحى ومصابين ينزفون. أطفال مذعورون ونساء يحاولن تهدأتهم. جثث متناثرة بين الأشجار وعلى حواف الصخور. بعض الجثث لجنود إيرانيين وأخرى لمقاتلين

أكراد.
يخيّم الهدوء. تلوح صقور وهي تحوم فوق الوادي.

(٦)

خيمة شبه معتمة، عابقة بدخان السجائر، تتسرب إليها خيوط من ضوء الشمس عبر شقوق وفتحات. في الخيمة هناك ثلة من قادة الفصائل (بينهم امرأة مقاتلة) يتمنطقون بصفوف الرصاص، يجلسون وبنادقهم وراء ظهورهم.
شيروان، مستأنفاً كلاماً سابقاً:
ـ لا أحد كان يتوقع كل هذه القسوة.
نوزاد، يتابع كلام شيروان:
ـ وبهذه السرعة غير المتوقعة؟
ميديا، ترد على كلام نوزاد بشيء من السخرية:
ـ كل شيء متوقع من الشاه، القسوة والسرعة، لكننا نبدو طيبين وكسولين أكثر من اللازم، بحيث أن نصف فصيل الحراسة كان يغط بالنوم أثناء الهجوم.
نوزاد، وهو يحاول تجنب الرد على ميديا:
ـ لن يعودوا مرة ثانية، بعد هذه الخسائر التي تكبدوها.
(تُسمع حركة وقرقعة سلاح خارج الخيمة) يدخل مقاتلان ثم

يدخل البارزاني وهو يمسك ببندقيته بيده، تبدو على وجهه ملامح التوتر والوجوم. (ينهض الجميع باحترام ورهبة).

البارزاني، وهو لايزال واقفاً، وكأنه يرد على كلام نوزاد:

ـ بل سيعودون غداً أو بعد غد، بتعزيزات أكبر وطائرات أكثر. ليثأروا لخسائرهم.. لذلك لا يمكن البقاء تحت هذه السماء العدوة. (ينظر البارزاني في وجوه الجميع) ليس أمامنا من خيار سوى الرحيل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه. (يلتفت لنوزاد) لا تترك الوادي عرضة للمفاجآت.. عزز الحراسات على القمة وابعث من يرصد المنافذ والطرق المؤدية إلى نغده.

يهز نوزاد برأسه استجابة ثم يطلب الإذن بالخروج.

(يخرج نوزاد ويتبعه الآخرون)

البارزاني، مخاطباً شيروان:

ـ ابقَ أنت.

(٧)

لم يبقَ أمامه من خيار سوى الرحيل، ومن الأفضل في هذه الليلة بالذات. كان قد فكّر بالأمر ملياً.. قلّب الحلول الممكنة... الفرص المتاحة للبقاء، أو حتى للتحايل على الظروف فترة من الزمن، إلا أن

مصير الآخرين كان شـاغله الوحيد، فهؤلاء «ذمة برقبته» كما كان قال بالأمس لشقيقه الشيخ أحمد، قبيل رحيله، هو الآخر، بساعات فقط، أو كما كان عاهد نفسه على ذلك يوم انطلق بهم نحو الحلم المعهود. فقد جاؤوا معه، تركوا كل شيء.. بيوتهم ومدنهم وعوائلهم، وتحملوا شـتى أنواع الصعاب. قاتلوا ببسالة أدهشت الجميع، دفاعاً عن ذلك الحلم، الذي ومض كالبرق في سماء كوردستان.

نعـم هم ذمة برقبته.. لكنهم أصبحوا اليوم عبئاً ثقيلاً بعدما حط الحلـم رحالـه عند النهاية، وها هو يتحـول إلى كابوس. لهذا صار البقاء هنا، تحت هذه السـماء العدوة، معناه تقديم هؤلاء المقاتلين الشـجعان لقمة سـائغة لمفارز الشـاه، التي تبحث عنهم كالطرائد الهاربة، أو كأكباش فداء سيسّـرُ الشاه عندما تقدم له على أطباق من ذهب، بعد أن اسـتعاد سـطوته لحظة انسـحاب جيوش ستالين وانهيار جمهورية مهاباد.

بعد ساعات من حالة التأمل، التي قضاها في خيمة معتمة لا يضيؤها سـوى شـعاع قمر باهت، كان يلوح من بين التلال المحيطة بالمدينة، خرج البارزاني، متجهماً حزيناً، ليعلن قراره على بعض مسـاعديه السياسيين وبعض قادة الفصائل (جهزوا حالكم للرحيل... ستكون وجهتنا حدود الاتحاد السوفييتي!).

لم يناقش أحد قرار البارزاني، بل لا يجرؤ أحد على مثل هذا الأمر،

لا بسبب تلك الهالة القدسية التي أضفتها السنون والبطولات والمعارك، على شخصيته القوية، فحسب، إنما لأن البقاء هنا لا معنى له سوى الاستسلام لقوات الشاه غداً أو بعد غدٍ في أبعد تقدير. والاستسلام له معنى واحد هو الآخر: الإذلال وقبول شروط المنتصر.. وليس هناك، بين هؤلاء المقاتلين، الذين خاضوا أشرس المعارك دفاعاً عن مهاباد، من يرتضي إذلال هذه القوات، التي استعادت للتو، سطوتها المفتقدة، وتريد الآن، استعادة كامل سيطرتها على كوردستان إيران بأي ثمن.

وسط حالة الذهول، التي أصابت الجميع، جراء ذلك الانهيار المفاجئ والسريع، حاول الملا مصطفى أن يخفف من وطأة الموقف ومن مرارة الخيبة.. قال لأولئك المحيطين به، وهم يلتفون حوله في جوار خيمته المعتمة:

ـ لا تيأسوا ولا تتركوا اليأس يتسرب إلى أرواح المقاتلين، فما خسرناه ليس سوى معركة وأمامنا الكثير من هذه المعارك لننتصر فيها!

تطلع الجميع إليه باهتمام وكأنهم يستحثونه لمزيد من هذا الكلام، لكي يبددوا، من خلاله، ذلك الشعور بالمرارة، الذي يملأ قلوبهم وأرواحهم.. فأضاف قائلاً بهدوء تام: لا تصدقوا أن الجيش الإيراني هو الذي هزم جمهورية مهاباد.. الحقيقة هي أن الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى هزمتا الاتحاد السوفيتي، وما دفعته مهاباد كان

ثمن تلك الهزيمة!

كان لعبـارة البارزاني تلك أكثر من معنى وأكثر من تفسـير، بل إن البعـض ممن كان يسـتمع إليـه، لم يفهم، على وجـه الدقة، ما هو مقصود بها.. التقط البارزاني ما لمحه في عيون البعض، فاسـتطرد ليزيد الأمر شرحاً وتوضيحاً قال: لو كنا اعتمدنا على أنفسنا وعلى شعبنا وعلى مقاتلينا لما حدث ما حدث... ولو لم يتاجر البعض، من رؤوس مهاباد، بقضية كوردستان وينشغل بملء جيوبه وخزائنه، لما حدث الانهيار.. لقد كان بوسـعنا، لو ترك لنا الخيار، أن ندافع عن جمهورية مهابـاد وأن نحميها بأرواحنا، لكن هذا البعض لم يترك لنا الفرصة فسارع للاستسلام حتى قبل وصول القوات الإيرانية.

شعر البارزاني بهمهمة تدل على وقع كلامه وتأثيره، فشدد قائلاً.. لذلـك أقـول لكم وأنا مسـؤول عن كلامي، لسـنا السـبب في ضياع الجمهوريـة، وشـعبنا لن يبخل في دعمهـا وفي الدفـاع عنها لو كان القـرار بيده، وهذه الدماء التي سـالت على أرض مهاباد، سـتظل تروي حلم كوردستان بالثورة والحرية والاستقلال.

نزلت عبارة البارزاني الأخيرة كالجمر على مسـامعهم فأوقظت في أرواحهم وهج الانتصار، الذي كانوا شـهوداً عليه منذ بعض الوقت فقط.

(٨)

يسـرح المـلا مصطفى في خياله وهو يسـتعيد مشـهد ذلك الصباح الرائع عندما تحقق الحلم المستحيل الى واقع ثم تبخر:

كانت الساحة فارغة تماماً. الصمت يسود كل الأرجاء (يشبه الصمت الذي يسبق العاصفة) ثم فجأة ينطلق صوت بوق نفير، يتبعه صياح ديكة. يتعالى صوت البوق فيتداخل مع أصوات الديكة.

الشمس تبدأ بالشروق رويداً من وراء تلة، ومع شروق الشمس ترتفع راية ملونة بالأخضر والأحمر والأبيض، على صارية وسط الساحة، ومـا أن تصـل الراية أعلـى الصارية حتى تُسـمع إطلاقات مدفعية (تحية للراية) ثم عاصفة من التصفيق والهتاف والزغاريد.

كان المشهد مهيباً ومؤثراً... لم تتسع ساحة جوار جرا لتلك الحشود الضخمـة، التي زحفت منذ الفجر فغصت بها الشـوارع المؤدية إلى السـاحة. جاؤوا من مختلف أنحاء كوردستان رجالاً ونساءاً، شباباً وشـيوخاً. أفواج لا تحصى ولا تعد من البشـر التواقين لحلم الحرية والتحـرر، جـاؤوا في ذلـك الصبـاح، ليشـهدوا ولادة أول جمهورية كوردية في تاريخهم المعاصر.

بعـد كلمات وخطب قصيرة ألقتها وفود من العراق وتركيا وسـوريا والاتحـاد السـوفييتي وأذربيجـان، أعلن القاضي محمـد عن قيام

جمهورية مهاباد. ثم بدأت راية الجمهورية الملونة بالأخضر والأحمر والأبيض، ترتفع على الصارية الموضوعة وسط الساحة، ومع ارتفاعها كانت آلاف الأعناق ترتفع نحو السماء، في مشهد لم يسبق له مثيل. ثم انطلقت عشرات الآلاف من الحناجر بالهتاف وزغردت النساء بفرح غامر، ومع كل خفقة من خفقات الراية الصاعدة نحو الأفق الرحب، كان الهتاف بحياة كوردستان ومهاباد يتصاعد إلى عنان السماء. فهطلت دموع الكثيرين واختلطت بالزغاريد والأهازيج ودبكات الرقص، التي التأمت وسط الساحة وفي مداخلها.

كان مشهداً مهيباً لا يوازيه في الرهبة والتأثير سوى مشهد البارزاني وهو يقف حزيناً في جوار خيمته المعتمة، ليبلغ مساعديه بقرار الرحيل عن مهاباد، وكأنه كان يؤّبن ذلك الحلم، الذي ومض كالبرق في سماء كوردستان ثم انطفأ بين صحوة وإغفاءة.. حلم مهاباد وساحة جوار جرا وراية الجمهورية الخفاقة والحشود والهتافات والزغاريد والدموع، ذلك الحلم الذي تحول، في هذه الليلة الموحشة والكئيبة، إلى كابوس مرعب.

(٩)

كان الجميع يدرك أن لا مفر من الرحيل بعد انهيار الجمهورية وإعلان رئيسها القاضي محمد، حل حكومتها ومن ثم إبلاغ القوات الإيرانية الزاحفة، بقرار الاستسلام، لكن لا أحد كان يعرف بالضبط لماذا اختار البارزاني حدود الاتحاد السوفييتي وليس حدود العراق أو تركيا، أو حتى إيران نفسها، للتوجه إليها. كانت الأسئلة في أذهان المقاتلين وحتى المستشارين السياسيين المحيطين بالبارزاني، كثيرة ومحيرة... أليس الاتحاد السوفييتي هو نفسه من أجهض الحلم عندما سحب قواته من أذربيجان فسقطت جمهورية مهاباد كثمرة ناضجة؟ ألم يبع ستالين الجمهورية ببئر نفط وعده به الشاه؟ ألم يخضع لضغوط أمريكا وبريطانيا العظمى عندما تخلى عن أذربيجان ولم يف بوعده للأذريين؟ ألم ينقض ستالين وعوده لنا بتزويدنا بالأسلحة الثقيلة للدفاع عن الجمهورية؟

قطع البارزاني ذلك الصمت المعبأ بتلك الأسئلة الحائرة، وكأنه حدس بما يدور في أذهان مساعديه، فقال مواصلاً ما انقطع من حديثه: حروب الكبار لها قوانينها وموازينها وصفقاتها وكواليسها، ومع أننا كنا ضحية هذه الصفقات إلا أننا لا نستطيع أن نلعب مع هؤلاء الكبار.. علينا أن نتبع مصالحنا، مصالح شعبنا وحقوقه

المشـروعة حتى لو كانت في فم الأسـد.. حتى لو اضطررنا للتعامل مع الشـياطين.. والاتحاد السوفييتي ليس شـيطاناً في كل الأحوال، بل حليف لشـعبنا اضطرته الحرب وقوانينها للتخلي عن التزاماته، ولهـذا قـررت أن نتوجـه إلى حـدود الاتحـاد السـوفييتي فهنـاك سينتظروننا وسيستقبلوننا.. ولكل حادث حديث.

في أعماقـه، لم يكـن البارزاني مقتنعاً تمامـاً بمثل هذه التبريرات، التي يريد من مسـاعديه أن يقتنعوا بها، فهونفسـه كان يشعر بألم الخديعة يكاد يطبق على أنفاسه، كلما تذكر وعود السوفييت بنصرة الجمهوريـة ثـم نكوثهم بتلك الوعود فقد وعدوه بارسـال الأسـلحة للدفاع عن الجمهورية وعندما وصل مهاباد وبرفقته شـقيقه الأكبر الشـيخ أحمد، مع عشرة آلاف مقاتل، لم يجد سوى بضع مئات من بنادق البرنو والرشاشات الخفيفة.

(١٠)

مقاتلـون (تظهـر ميديـا في مقدمتهم) يتفقدون مكان تسـلل القوة المهاجمـة. يفتشـون بين الصخـور وتحت الأشـجار فيعثـرون على بندقيـة وعتـاد وعلى بقع دمـاء جافة على إحدى الصخـور، تتطلع ميديـا في محيط الصخرة الملطخة بالدم فتكتشـف بقع أخرى على

بعد أمتار منها.

ميديا (تخاطب المقاتلين بصيغة الأمر):

ـ توغلوا في المنحدر وفتشـوا جيداً.. هناك جريح لا يزال موجوداً في المنطقة.

(يهبط المقاتلون باتجاه المنحدر)

المقاتل نامق (وهو يلوّح بسترة عسكرية إيرانية عثر عليها):

ـ أخت ميديا.. أخت ميديا!

(تذهب ميديا بسرعة، تلتقط السترة من يد نامق تقلبها وتبحث في جيوبها فتعثر على أوراق هوية).

ميديا (تقرأ في الأوراق):

ـ ضابط كبير.. جنرال.. يا إلهي (تلتفت نحو المقاتلين الذين التفوا حولهـا) لا تتركـوا مكانـاً دون تفتيش، يجـب أن نعثر عليـه.. هيا بسرعة.

(١١)

البارزانـي جالـس وسـط الخيمـة يلف السـجائر من كيس أسـود محشـو بالتبغ، يجلس قبالته شـيروان يدخن. يبدوان وكأنهما كانا يتحادثان.

البارزاني (وهو يضع السيجارة في مبسم طويل ويهم بإشعالها):
ـ سيقولون إننا تركنا مهاباد وهربنا!
شيروان (وهو يشعل للبارزاني سيجارته):
ـ لا.. لا أقصد ذلك ولكن..
البارزاني (يعاجل بالرد):
ـ ليس أنت من يقصد ذلك، بل هناك من سيقول ذلك سراً أو علناً.. هل نسيت ما قيل من هذا الكلام بعد رحيل الشيخ أحمد ورفاقه الضباط إلى العراق؟ أنت تعرف أن الشيخ أحمد كان مضطراً للذهاب كي ينقذ عوائل هؤلاء لكنهم مع ذلك شوهوا الحقيقة. إن الفارق بيننا، يا شيروان، وبين هؤلاء أنهم لا يتحملون المسؤولية التي نتحملها نحن.. كل هؤلاء المقاتلين وعوائلهم.. النساء الأطفال.. الجرحى، هم ذمة برقبتي، برقبتنا جميعاً، ولا يجوز تعريضهم لمزيد من المخاطر.
شيروان (بهدوء المتفهم):
ـ أنا أتفق معك تماماً، لكن علينا أن نضع الجميع في صورة الموقف وأن لا نترك أحداً عرضة للشك في الهدف من وراء قرار الرحيل (يدخل مقاتل يقدم لهما الشاي) فأنت تعرف أن تلاحق الأحداث وحالة الخيبة التي تركها قرار الاستسلام وتنكيس راية جمهورية مهاباد، لا تترك فرصة للتفكير العميق والسليم، أو لمعرفة القرار

الصح من القرار الخطأ.

البارزاني (بعد أن يسحب نفساً عميقاً من سيجارته):

ـ الأمر لا يحتاج للتفكير العميق بل يحتاج للإحساس بالمسؤولية، فمن غير المعقول أن نحمّل الناس أكثر من قدراتهم على التحمل.. ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

شيروان (وهو يهز برأسه دلالة الموافقة):

ـ صدق الله العظيم.. هذا ما أقصده، هو أن نجعل الجميع يشعر بهذه المسؤولية، وبأن هذه المعركة ليست معركتنا الأخيرة.

البارزاني (وهو ينهض، يتحدث بشيء من المزاح والغمز من **قناة شيروان**، الذي ينهض خلفه):

ـ تبنَ أنتَ أمر ميديا، فهي ثرثارة ومشاغبة، وليس هناك من يستطيع ترويضها غيرك، وأترك لي الباقين.

(يهمان بالخروج من الخيمة فتدخل ميديا مسرعة تحمل بيدها سترة الضابط الإيراني وأوراق هويته).

البارزاني (بلهفة ومبادرة):

ـ خيراً.. ماذا تحملين لنا؟

ميديا (تلهث وهي تقدم الأوراق للبارزاني):

ـ جنرال.. أنه جنرال.. كان يحاول الفرار كما يبدو إلا أنه جريح، وجدناه.. لا.. أقصد وجدنا أولاً سترته العسكرية هذه (تشير

للسترة بيدها) وفيها هويته.. كانت ملطخة بالدم.. السترة.. تبعنا أثر الدم فوجدناه في الكهف مغمياً عليه.

البارزاني (بنفاذ صبر):

ـ المهم.. هل هو حي.. أين هو الآن؟

ميديا (مسرورة):

ـ حي.. نعم حي.. وموجود في خيمة السجن.

(يخرج البارزاني من الخيمة مسرعاً تتبعه ميديا وشيروان).

ميديا (قبل خروجها، تنظر إلى شيروان خلفها وتبتسم بدلال):

ـ أنتَ أسقطت طائرة إيرانية وأنا أمسكت بجنرال إيراني.

شيروان (يتبع ميديا ضاحكاً):

ـ مبروك... (ثم بهمس) دعيني أراك اليوم.

(١٢)

الضابط الإيراني الأسير (رجل أشيب في الخمسينات من عمره، ممدد على أرض الخيمة وحيداً. الدماء تصبغ قميصه الداخلي وهناك جرح واضح في كتفه الأيمن) يئن أنيناً خافتاً ويتألم.

يدخل البارزاني الخيمة تتبعه ميديا وشيروان ونوزاد. يقف على رأس الضابط ينظر في وجهه ثم يعود لينظر في صورته على أوراق الهوية. يجثم البارزاني على ركبتيه ويضع راحة يده على جبين

الضابط، ثم ينهض.

البارزاني (موجهاً كلامه لنوزاد):

ـ ابعث على الطبيب قادر فوراً.

نوزاد (وهو يخرج مسرعاً):

ـ فوراً.. فوراً..

البارزاني (ينظر لشيروان):

ـ تابع وضعه الصحي حتى يشفى، لا تتركوا أحداً يدخل عليه أو يتعرض له.

(١٣)

سفح يمتد بين قمتين وسلسلة بعيدة من الجبال المرصعة ببياض الثلج. يبدو السفح، من بعيد، وكأنه بساط مزركش مليىء بجميع ألوان الطيف. أزهار وورود ونباتات وأعشاب، زرقاء وخضراء وصفراء وحمراء وبنفسجية، ناصعة وكامدة، تسقط عليها خيوط شمس واضحة قريبة فتزيدها بريقاً. مع لمعة قوس قزح، تظهر ميديا، وهي تتحرك بين الأعشاب والأزهار، بيدها كيس من القماش الصوف وسكيناً صغيرة. شعرها الطويل الأسود الفاحم يسقط على الأزهار كلما انحنت لتقطف عشبة أو زهرة. (من بعيد

يظهر شيروان قادماً نحوها فتقف تنظر إليه ثم تعود للقطف).

شيروان (من مسافة ليست بعيدة):

ـ هيه... ماذا تفعلين؟

ميديا (وهي لا تزال تقطف):

ـ كما ترى أقطف الأعشاب.

شيروان (يقترب منها):

ـ وهل أصبت بالمغص من قصف الطائرة؟

ميديا (ضاحكة):

ـ لست أنا بل البعض من المستشارين السياسيين.

شيروان (بخبث ومزاح):

ـ وهل عينوك طبيبة للمستشارين السياسيين؟

ميديا (تضحك):

ـ لا أبداً.. كلفني البارزاني بقطف الأعشاب البرية، فهو خبير، كما تعرف، بمذاقها وطعم كل واحدة منها ولأي علاج تصلح، فهذه العشبة الصفراء (تريه العشبة المقطوفة للتو) يستخدمها البارزاني لعلاج الربو وضيق التنفس، وهذه (تريه عشبة ثانية) لآلام المعدة.

شيروان (وهو يمسك بعشبة ويطحنها بيده):

ـ لا أعرف من أين يأتي هذا الرجل بالوقت والمزاج للاهتمام بهذه الأشياء (لحظة صمت) ميديا... (يمسك بيدها وهي تمتد لقطف

وردة حمراء) هل تعرفين أنكِ تشـبهين هذا البستان الإلهي (يشير بيده إلى السـفح) بكل ألوانه وعطوره ولمعانه وبريقه.. وهل تعرفين أن هذه هي ألوان الحب؟

ميديا (وهي تسحب يدها بلطف من يد شيروان):

ـ طلبت أن نلتقي لأمر ضروري وها أنت تتحدث عن الـ...

شيروان (مقاطعاً ميديا بلطف):

ـ وهل هناك ما هو أكثر ضرورة من حديث الحب؟

ميديا (بدلال):

ـ لكننا في زمن الحرب!

شيروان (وهو يقطف وردة من الأرض):

ـ لولا الحب لما كنا نحارب.. نحن نحارب دفاعاً عما نحب.. فنحن نحـب أرضنا وشـعبنا.. نحب كرامتنا وحريتنـا ونحب أيضاً (يمد يده بالوردة إلى فم ميديا فتبتسم) أن تبقى هذه الابتسامة مرتسمة على الشفاه.

فجأة يسـمعان صـوت طائرة قادمة من وراء الجبـال فيتوقفان عن الحديث ويبدو الانتباه والفزع على ملامحهما.

شيروان (وهو يمسك بيد ميديا):

ـ طائرة.. هيا.. بسرعة.

(يركضان باتجاه الوادي).

(١٤)

حالة مـن الفزع (يحدثها مـرور الطائرة فوق الـوادي)... حراس يأخذون وضع الاستعداد وراء مدافعهم الرشاشة ويبدأون بالرماية.. البعض منهم يتسلق حواف الجبل... نساء وأطفال يلوذون بالصخور المجاورة.. نداءات تأتي من عمق الوادي...

البارزاني يبدو وهو يخرج من خيمته مسـرعاً ماسكاً بندقيته بيده، يلحـق بـه اثنان من قـادة الفصائل كانا معه داخـل الخيمة، ويلتف حوله (لحمايته) ثلة من الحراس ببنادقهم المشرعة.

البارزاني (بعد ابتعاد الطائرة، ينظر إلى السماء حيث مرقت):

ـ هذه رسـالة واضحـة (يلتفت إلى قائدي الفصيلـين) يريدون منا إطلاق سراح الجنرال.. لا يجب أن نبقيه طويلاً.

(يعود ليدخل الخيمة يلحق به القائدان).

(١٥)

الضابـط الإيرانـي وقد بدا معافى وهو جالس يدخن، كأنه يسـتمع لأسئلة توجه إليه. الجرح في كتفه ملفوف بالضمادات.

شـيروان (بيده دفتر وقلم، يبدو كأنه كان يدوّن كلاماً سابقاً، يرفع بصره نحو الضابط الإيراني مستأنفاً الكلام):

ـ لسنا حكومة، ولا نحن في حرب نظامية، كي تطالبنا بحقوق الأسير... ثم إننا لم نسيء معاملتك حتى الآن، ولا يمكن أن نطلق سراحك هكذا مجاناً كي تعود غداً لتقتل نساءنا وأطفالنا.

الضابط الإيراني (بهدوء وهو لا يزال يدخن):

ـ إطلاق سراحي من مصلحتكم ومصلحة نسائكم وأطفالكم، فحكومتي تعرف أني أسير لديكم ولن تنتظر طويلاً على احتفاظكم بجنرال كرهينة أو غنيمة حرب.

شيروان (بهدوء أيضاً):

ـ ساعدنا على إطلاق سراحك.. الأمر بيدك.

الضابط الإيراني (يبدو وكأنه التقط إشارة شيروان):

ـ أساعدكم! (يصمت لحظة) ممكن ولكن شرط أن لا تدون شيئاً على لساني ولا تجبرني على توقيع أية ورقة أو وثيقة.

شيروان (يضع الدفتر الذي كان بيده، جانباً ويعيد القلم إلى جيبه):

ـ أعدك بذلك ولكن عدني بأن لا تكذب علي.

الضابط الإيراني (وهو يبتسم لشيروان):

ـ أعدك بأن أقول ما هو نافع لكم.

(١٦)

لم يكـن قـرار الرحيل صعباً من الناحية النفسـية فحسـب بل كان أشـبه بالصاعقة نزلـت على رؤوس المقاتلين، خاصـة أولئك الذين كانت ترافقهم عوائلهـم، وأحياناً عوائل إخوتهم وأصدقائهم ممن استشهدوا في المعارك التي خاضوها دفاعاً عن الجمهورية. ولم تكن هناك، في ظل الفوضى، التي تركها قرار الاستسـلام، والخشية من هجمات مرتقبة قد تشنها القوات الإيرانية، فرصة للتفكير أو للتأمل بما جرى أو بما سـيجري، فكيف بقرار الرحيل المفاجئ إلى حدود الاتحاد السـوفييتي، الذي يستوجب قطع مئات الكيلو مترات وحمل أطنان من الأسلحة والمؤن وسط أجواء الخوف والترقب والخيبة؟

على عجل جرى كل شـيء.. أصدر البارزاني أوامر فورية بجمع كل مـا هو متوفر من أسـلحة في مهاباد، فتبـين أن هناك ما يقرب من ألف بندقية ومائة وعشـرين رشاشاً وقطعتي مدفعية ميدان إضافة إلى كمية لا بأس بها من العتاد والقنابل اليدوية. كذلك أمر بجمع الـدواب لحمل الجرحـى والإمدادات الغذائية والميـاه اللازمة، وقد تبـين في اللحظـة الأخـيرة، أنهم لا يملكون سـوى القليـل من هذه الإمـدادات، بل ليس لديهـم غير عدد قليل منالدواب، ومع ذلك لم يتراجع البارزاني عن قرار الرحيل، فخاطب مقاتليه، قبل سـاعات من ذلك قائلاً لهم.. سوف تنهكون وتجوعون وتمشون حفاة، لكننا

سـنصل مبتغانا لا محالة، فشدوا من عزائمكم واستعدوا.. سنرحل غداً.

(١٧)

صـوت غناء كـوردي يأتي من قلـب الوادي.. (غناء عيـد النوروز) يتصاعد الغناء شـيئاً فشـيئاً.. رجال ونسـاء يتحركون، من أماكن مختلفـة، باتجاه مصـدر الغناء.. يظهـر المغني من بعيـد (المقاتل مخلص، أربعيني أشيب يجيد الغناء وتحكى قصص عن عشقه لفتاة قتلها الإيرانيون، وهو جالس حول موقد نار وبندقيته معلقة بكتفه) يتزايد التفاف الناس حول المغني، يرتفع صوت الغناء بمشاركة من الآخريـن... يبدأ البعض بتغذية موقد النار بالحطب فيرتفع لهيبها ومعـه يرتفع صوت الغناء. يظهر عازف مزمار من زاوية، ثم يدخل الحلقـة بالقـرب من المغني وهـو يعزف، ينزل العجـوز رحمان إلى الحلقة، تتصاعد الزغاريد، يرقص العجوز رحمان بمفرده وهو يلوح بعصاه بوجوه النسـاء حتى يختار واحدة فتستجيب وتنزل إلى حلقة الرقص، ثم مجموعة من المقاتلين والمقاتلات .. تتسع حلقة الرقص حـول موقد النار. أصوات زغاريد تتصاعـد من زاوية أخرى منمن الـوادي (بالتحديد من الخيمة المحاذية لخيمـة البارزاني) يختلط

صوت الغناء والزمر مع أصوات الزغاريد القادمة.. يظهر شيروان فوق صخرة بالقرب من خيمة البارزاني وهو يطلق النار في الهواء.. تظهر ميديا وهي تركض باتجاه خيمة البارزاني.

(١٨)

البارزاني جالساً وسط الخيمة وأمامه فانوس وخارطة مفروشة على الأرض وبيده مبسمه الطويل، تدخل ميديا دون استئذان فلا يلحظها الملا مصطفى إلا بعد أن تصبح وسط الخيمة.

البارزاني (يرفع رأسه وينظر إلى ميديا وكأنه حدس سبب مجيئها في هذا الوقت):

ـ بشرينا يا ميديا!

ميديا (وهي تضحك.. تطلق زغرودة خافتة):

ـ ألم تسمع الغناء والرقص والزغاريد؟

البارزاني (ينهض وهو يبتسم):

ـ النيروز؟

ميديا (بدلال وخبث):

ـ النيروز والولادة معاً.. مبروك وأريد البشارة.

البارزاني (وهو يهم بالخروج من الخيمة عجلاً، يقبّل ميديا من

جبينها):

ـ بشارتك محفوظة.

تعـود أصوات الغنـاء والرقص والزغاريد لترتفـع تدريجياً... النار لاتزال تتقد ويتصاعد لهيبها، الراقصون ينزلون حلقات نحو ساحة صغيرة. يظهر شيروان وميديا وهما يدخلان حلقة الرقص، كل واحد من زاويـة، ينظران إلى بعض خفية ويبتسـمان ويواصلان الرقص كل في حلقة. يظهر نوزاد وكأنه يتلصص على ميديا وشيروان.

(١٩)

خمسة مقاتلين يلتفون، في خيمة عند أطراف الوادي، حول موقد نار فوقه إبريق يغلي. أحدهم يلف سـيجارة مـن كيس تبغ، وآخر يضع في الإبريق كمية من الشـاي (يأتيهم صوت الغناء من بعيد.. صوت المغنى مخلص).

المقاتـل (١) (وهـو يحرك الموقـد بعصا.. ثم يشـير بها إلى خلف ظهره وكأنه يحدث نفسه):

ـ هل تعرفون قصة هذا المغني؟

المقاتل (٢) (وهو لايزال يلف سيجارته):

ـ سمعت أنه قتل الضابط الإيراني، الذي قتل حبيبته أمام عينيه.

المقاتل (٣) (وهو يرفع إبريق الشاي عن الموقد):

ـ قتله وهو يصرخ ويبكي من حزنه عليها.

المقاتل (٢) (يضع السيجارة في فمه ويأخذ عوداً مشتعلاً):

ـ مستحيل... هذا المغني الرقيق، الذي لا يأكل غير الخبز والجبنة، يمكن أن يقتل إنسان؟

المقاتل (١) (يضرب الموقد بعصاه):

ـ أنا شاهدته بعينّي هاتين (يؤشر على عينيه) وهو يقوم بذلك أمام الجميع وهو يصرخ ويبكي.

المقاتل(٢):

ـ أي عشق هذا يسلب الإنسان عقله؟

المقاتل(١):

ـ لكن مخلص معذور فأي إنسان يمكنه أن يشاهد حبيبته وهي تُغتصب أمام عينيه ثم تُقتل ويبقى لديه عقل؟

(فجأة يدخل العجوز رحمان، عليهم والشرر يتطاير من عينيه.. ينظر إليهم نظرة غضب.. ثم يمد عصاه ويحرك الجمر في موقد النار).

(المقاتلون يتجمدون).

العجوز رحمان (وهو يرفع عصاه عن الموقد):

- إياكم والعشاق.. لا تلوموا العشاق على ما يرتكبون.

(ثم يخرج وهو يبربر بغضب).

ينظر المقاتلون إلى بعضهم البعض باندهاش، ثم ينفجرون بالضحك.

فجأة يتوقف عازف المزمار عن العزف... ثم يصمت المغني.. تتوقف حلقات الرقص.. ينظر الجميع إلى السماء.. صوت الطائرة يعود من جديد. يقترب الصوت.

ينفّض الراقصون... (تسود حالة فزع عامة) ركض باتجاهات مختلفة.. مقاتلون يتسلقون الصخور باتجاه الجبل.. مجموعة من الرجال والنساء يسارعون إلى إطفاء النار بالبطانيات والتراب.. (الطائرة فوق الوادي) أصوات انفجارات في أماكن مختلفة.. نداءات استغاثة من مصابين.. دخان يتصاعد من بعض الخيم المحترقة.

(٢٠)

البارزاني يدخن بتوتر.. أربعة إلى خمسة من قادة الفصائل يجلسون متفرقين وصامتين.. يدخل ثلاثة قادة آخرون الخيمة، يسلمون باحترام وهيبة ويجلسون.. ثم اثنان بينهم الطبيب قادر.. يتبعهم شيروان وميديا.

(جو من الوجوم والترقب يسود الخيمة).

البارزاني (يقطع الصمت موجهاً كلامه لشيروان):

ـ قلت لك إنه التحقيق مع الضابط الإيراني وأطلق سراحه قبل أن يقصفونا!

شيروان (مباغتاً بلوم البارزاني له):

ـ لكنهم لا يحتاجون ذريعة لقصفنا وبوسعكم سماع الضابط نفسه فلديه الكثير من المعلومات عن خطة الشاه، والقصف مجرد بداية.

البارزاني (موجهاً الكلام لنوزاد):

ـ اجلب الضابط الإيراني.

نوزاد (ناهضاً بسرعة):

ـ نعم.. فوراً.

البارزاني (للطبيب قادر):

ـ كم عدد المصابين؟

قادر (بأسى):

ـ أربعة.. طفل وثلاثة مقاتلين أحدهم أصابته مميتة.

(٢١)

الضابط الإيراني جالس في زاوية من الخيمة يتناول الطعام. يدخل نوزاد. ينظر إلى الضابط بشيء من الامتعاض.

نوزاد (وهو يهز بيده سخرية):

ـ انهـض.. أنتم تقتلـون أطفالنا ونحن نقدم لكم الطعام.. (ينهض الضابـط بتكاسـل) در وجهـك (يعطـي الضابـط وجهـه للخيمـة فيقـوم نوزاد بتقييد يديه إلى الخلف) امـش معي.. (يخرجان من الخيمة).

(٢٢)

يدخل الضابـط الإيراني خيمة البارزاني فيتعثر بالبسـاط الممدود على الأرض (كأن أحداً دفعه من الخلف) يدخل خلفه نوزاد. يتوقف الضابط عند الباب بصمت ويداه مقيدتان إلى الوراء.

البارزاني (وهو ينظر في وجه الضابط.. يأمر نوزاد):

ـ فـك قيـوده (يفك نوزاد قيود الضابـط) تفضل بالجلوس (يجلس **الضابط** (بعد أن يسلم على الجالسين).

(تتجه أنظار الجميع نحوه)

البارزاني (وهو يقدم سيجارة للضابط):

ـ سمعنا أن إحدى قذائف طائرتكم سقطت قرب خيمتك؟

الضابط (يأخذ السيجارة شاكراً البارزاني بحركة من رأسه):

ـ مصيري لا يختلف عن مصيركم.

البارزاني (يبتسم):

ـ وما هو المصير الذي ينتظرنا برأيكم؟

الضابط (يتطلع في وجوه الجالسين ثم يعود لينظر إلى البارزاني):

ـ من دون مقدمات؟

البارزاني (بهدوء):

ـ من دون مقدمات.

الضابط (يعود لينظر إلى الجميع):

ـ الجميع استسلموا لقوات جلالة الشاه.. لم تعد هناك جمهورية مهاباد ولا رئيس ولا وزراء.. عادت الأمور إلى البداية، أو إلى نصابها. وليس أمامكم...

البارزاني (مقاطعاً الضابط بتوتر):

ـ لا نريد أن نسمع نصائح، نريد أن تسمعنا ما قلته لشيروان.

الضابط (بالهدوء نفسه):

ـ ليست نصائح.. فأنتم من يقرر ويقدر الأمور في النهاية، لكن

(يصمت لحظة) القرار صدر في طهران، بعد أن رفضتم إلقاء السلاح والعودة إلى بلادكم.

البارزاني (بانزعاج):

ـ كوردستان كلها بلادنا.. وما هو هذا القرار؟

الضابط (موجهاً الكلام للجميع):

ـ مطاردتكم وقتلكم أو إلقاء القبض عليكم وتسليمكم لحكومة نوري السعيد.. هناك اتفاقية وقعت مع بغداد في هذا الخصوص، وهناك اتفاقية أخرى مع موسكو فلا تنتظروا مساعدة ستالين فهو السبب وراء انهيار جمهوريتكم وجمهورية الأذريين من قبل.

البارزاني (بشيء من الدهشة وعدم التصديق):

ـ وماذا أعطيتم ستالين حتى خضع لكم هكذا؟

الضابط (يبتسم بخبث):

ـ آبار نفط.. مساعدات اقتصادية.. ضغوط من حلفاء بلادنا.. في لندن وواشنطن. المهم إذا لم تجدوا حلاً سريعاً ستجدون أنفسكم في مواجهة لواءين مسلحين بكل أنواع الأسلحة جُردا لمطاردتكم وإحكام الطوق حولكم.

البارزاني (ينهض منزعجاً ومتوتراً):

ـ أطلقوا سراحه غداً صباحاً.

(٢٣)

في الطريـق إلى مدينـة نغده، شمـال مهاباد، حيث يسـكن غالبية المقاتلـين، طرحت ميديا على شـيروان، فكرة بـدت مفاجئة له، بل شـمَّ منها رائحة اعتراض على قرار البارزاني بالرحيل نحو حدود الاتحاد السوفييتي. توقف شيروان ونظر إلى ميديا نظرة فيها الكثير من الاسـتغراب واللوم، فليس هناك، في الواقع، حتى بين مساعدي البارزاني المقربين، من يجرؤ على مناقشـة قراراته وأوامره، فكيف بالاعـتراض على قـرار مصيري لا يملك أحداً اتخـاذه أو التراجع عنه، غير البارزاني نفسه؟

قال شـيروان لميديا، بعدما استأنفا مسـيرتهما نحو المدينة: أعدكِ بأنني لن أفتح فمي وسـأحفظ ما قلته للتو سـراً مصاناً، لكن إياك والترويـج لمثـل هـذه الأفكار أمـام أحد سـواي وفي هذه السـاعات الحرجة بالذات. انتفضت ميديا من رد شـيروان الساخر والقاسي معاً، الذي وجدته مغالياً في الحذر والتخوف، فتوقفت هي، هذه المرة، وأمسكت بشيروان من كتفه، قالت: إذا كنتَ تخشى على نفسك من مجرد الكلام فأنا لا أخشـى على نفسي حتى من الرصاص... منذ تركنا كوردستان العراق وجئنا لنصرة مهاباد، ونحن نضع أرواحنا علىراحاتنـا، ليـس هناك، بيننا، من تخاذل عـن تنفيذ الأوامر أو تراجـع عن خـوض معركة، أو تقاعس عن واجـب، ولهذا يحق لنا،

جميعـاً أن نبـدي آراءنا بمصائرنـا ومصائر مئـات المقاتلين الذين معنا. صمتت ميديا قليلاً فلم يرد شـيروان وبدا لها وكأنه يريد أن يسمع المزيد.. فاستأنفت حديثها بهدوء.. اسمع يا شيروان: لا أريد الاعـتراض على قـرار البارزاني ، ولا أنوي التمـرد عليه، لكنني لا أريد أن نتعرض ونعرض المقاتلين معنا للمصير نفسـه الذي تعرض له الضباط الأربعة عندما صدقوا بالعفو الذي أصدره نوري السعيد وعـادوا للعراق. حتى البارزاني نفسـه حاول ثني الشـيخ أحمد عن قـراره بالعـودة وأمامكم جميعـاً.. لكن ما فائدة ذلـك، فقد ذهب الشـيخ إلى السجن وذهب الضباط الأربعة إلى حبل المشنقة.. هذه هـي نتيجة القـرارات الفردية. لم تعجب العبارة الأخيرة شـيروان فامتعـض مـن ذلـك، وقبل أن يبـادر للإعـتراض، أكملـت ميديا حديثهـا، وهـذه المرة بهدوء أكثر: ما أريـد توضيحه وإيصاله للملاّ مصطفـى، هو أننا تعبنا من المراهنـات على حكومات هذه الدول.. في كل مرة نكتشـف، متأخرين للأسـف، أننا ضحية تحالفات تشبه المصائد التي تنصـب للطرائد، حدث هذا مع حكومة بغداد وحدث مـع الشـاه ومـع الأتراك.. وهـا نحن نراهـن، بعد هـذا كله، على سـتالين، ولم تمض سوى أيام على غدره بالأذريين وسماحه لقوات الشاه بإسقاط جمهوريتهم، فهل بوسع البارزاني ضمان حياة مئات المقاتلين بعد أن يكونوا أصبحوا في فم ستالين؟ وما الذي يمنعه من

تسـليمنا كهدايا أو مقابل صفقات، لحكومة الشـاه أو لحكومة نوري السعيد في بغداد؟

(٢٤)

في الخيمـة المعتمـة، كان الصمـت مطبقـاً لا يقطعـه سـوى سـعال البارزاني، الذي كان لا يكف عن تدخين سـجائره التي يلفها بيده، الواحـدة تلو الأخرى، ويضعها في مبسـم طويل مصنوع من خشـب الورد.

دخل شـيروان... حيـا الحاضريـن بهمس وجلـس في أقصى ركن. كانت كلمات ميديا لاتزال ترن في رأسـه، وقد حفرت بقلبه أخاديد جديدة من الألم والانكسـار، وذكرته بمسلسل طويل من الفظاعات والنكبات، التي تعرض لها شـعبه خلال مسـيرة نضاله، حتى كأن نكبـة مهابـاد جاءت كتتويج لهذا كله. وكان شـيروان شـاهداً على بعـض هـذه الفظاعات والنكبـات بحكم صلته بالمـلا، الذي عاش معه نحو خمسة عشر عاماً، كان خلالها صديقاً ومرافقاً ومساعداً سياسـياً له. تذكر شيروان وهو يتمعن بوجه البارزاني ، الذي كانت تضيـؤه، عيدان الثقابكلما أشـعل سـيجارة، يوم رآه في السـليمانية في شـتاء العـام ١٩٣٢ عندما جاؤوا به مخفـوراً من جنوب العراق،

برفقة شقيقه الأكبر الشيخ أحمد، تحيط بهما مفرزة من الشرطة، لتُفـرض عليهمـا الإقامة الجبرية في المدينـة، وكان ذلك إثر انهيار التمرد الشـعبي، الذي قـاده البارزاني وشـقيقه في منطقة بادنان، ضد إجراءات حكومة بغداد بفرض الضرائب على السـكان وإقامة مخافر للشرطة في مناطقهم.

بعد ذلك وفي المدرسة الإسلامية بالمدينة، حيث كانا يدرسان، تعرّف شيروان، عن كثب، على البارزاني، إذ كان، قبل ذلك، يسمع باسمه من أفواه الناس، التي كانت تتحدث باعتزاز وفخر عن تمرد بادنان وتشيد بأسماء قادته، ومنهم، على وجه الخصوص، الشيخ أحمد و البارزاني نفسه. وتذكر شيروان أيضاً أن هذا الكهل الجالس أمامه القرفصاء وسط الخيمة، يدخن بشراهة ويسعل بين الحين والآخر، كان منذ شبابه مرهوب الجانب، يتميز بجَلده وجرأته، وقلما يسمح لأحـد بمناقشـة قراراته، فكيف بـه الآن بعدما أصبـح قائداً قومياً بـارزاً تخشـاه حكومات وجيوش وتحسـب له ألف حسـاب؟ صرف شـيروان النظر عن فكرة ميديا مناقشـة قرار الرحيل نحو الحدود السوفيتية، ووجد أن من الأفضل تأجيل الموضوع إلى فرصة أخرى، فالطريقإلى الحدود السوفيتية سيستغرق أسابيع، والمطلوب الآن هو تجنـب مخاطر البقـاء في مهاباد، بعدما وصل أكثـر من إنذار بأن قوات الشاه تستعد لمهاجمة مهاباد.

عاد شـيروان ليسرح في ذكرياته، مرة أخرى، إلا أن حركة وأصواتاً غـير معتـادة خـارج الخيمة قطعـت عليـه وعلى الجميـع، صمتهم وتأملهم، فأمر البارزاني باسـتطلاع الأمر. لم يدر بخلد شـيروان علـى الإطلاق أن تصل الجرأة بميديـا إلى هذا الحد بحيث تعتدي على مقاتل من حراس البارزاني ، لأنه اعترض طريقها ولم يسمح لها بدخول الخيمة. خرج شيروان ففوجئ بميديا وهي تشتم وتعربد خـارج الخيمة فحـاول تهدئتهـا وإبعادهـا، لكن دون جـدوى. أمر البارزاني ى، بالسـماح لها بالدخـول إلى الخيمة فدخلت.. رد على تحيتهـا بتكلف وهو جالس القرفصاء يدخـن، ولم يدعها للجلوس، فظلت واقفة صامتة لفترة، حتى طلب منها البارزاني أن تشـرح له ما تريد.

كررت ميديا أمام البارزاني ما كانت قالته لشـيروان، دون حرج أو خشية، لكنها أضافت إليه شيئاً خطيراً وغير متوقع عندما عرضت على البارزاني أن يسـمح لها بالذهاب إلى طهران لاغتيال الشـاه. فوجـئ الجميع بهذا المقترح فتوقفوا عن الإتيان بأية حركة بانتظار ردة فعل البارزاني.

وفي هذه اللحظة بالذات رفع البارزاني رأسه لينظر إلى ميديا نظرة غريبة لم يستطع شـيروان تفسير معناها.. فتساءل مع نفسه.. هل أعجب البارزاني بشـجاعة ميديا؟ هل وجـد في فكرتها الغريبة عن

اغتيال الشـاه، حلاً قد يؤخر هجوم قواته على مهاباد؟ أم أنه وجد في ذلـك نوعاً من الجنون والتهور قد يجـر البلاء على أكراد إيران ويعرضهم إلى مذبحة جديدة؟

وعندما أبتسـم البارزاني ودعا ميديا للجلوس إلى جانبه، انفرجت أسـارير شـيروان وتصـور، مثلمـا تصورت هـي أيضـاً، أن الفكرة الجهنميـة، الـتي طرحتها قـد وجدت هـوى لديه، لكـن البارزاني سرعان ما خيّب هذه الظنون دفعة واحدة، عندما أمر أحد حراسه باعتقال ميديا ووضعها في السجن.

(لم تأت ميديا بأية نأمة ولم تقل شيئاً بل أستسلمت بهدوء للحارس وهو يمسك بمعصمها ويسحبها خارج الخيمة).

امتعض شـيروان مـن هذه المفاجأة غـير المتوقعة باعتقـال ميديا، لكنه لمح ما يشـبه ابتسـامة رضى وتشـفٍ، على وجوه الآخرين من مسـاعدي البارزانـي. لم يفهم مغزى هذه الابتسـامة لحظتها، بيد أنه وجد، بينه وبين نفسه، تبريراً ما، فميديا في نهاية الأمر، امرأة، وعلـى الرغـم مما تتحلى به مـن إقدام وشـجاعة فائقة في خوض المعارك، وهو الأمر الذي فرض اختيارها لقيادة فصيل من الرجال المقاتلـين، تبقى عرضة لغيرة وحسـد البعـض، خاصة وإن المعارك الأخيرة، التي خاضتها مع فصيلها دفاعاً عن مهاباد، جعلت اسمها يتردد على ألسـنة المقاتلين، ليس في كوردستان العراق فقط إنما في

عموم كوردستان. هكذا فسّر شيروان الأمر إلا أن جانباً مهماً بل وخطيراً لم يرد على باله أبداً، أو أنه لا يعرف به في واقع الحال، فقد كان هناك كثيرون، ممن كانت تغيظهم جرأة ميديا، وأحياناً ما يبدو أنه عدم احترام من جانبها للتراتبية القائمة، يتسقطون أخبارها الخاصة، وكانت علاقتها بشيروان وزياراته، بين الحين والآخر، لمنزلها سواء في بادنان أو هنا في مهاباد، أخطر هذه الأخبار التي بلغت مسامعهم، ذلك أن علاقة من هذا النوع، وفي ظل الظروف المحيطة بهم، كانت شبه محرمة إن لم تكن محرمة تماماً، وقد بلغت مسامع البارزاني نفسه قبل هذا الوقت بكثير، لكن اعتزاز البارزاني بشيروان خاصة، كصديق ورفيق درب ومستشار سياسي محنك، منعه من اتخاذ أي إجراء ضدهما، على الرغم من الضغوط والتحريض غير المباشر، والمباشر أحياناً، من قبل بعض المقربين من قادة الفصائل والمستشارين.

لكن هل وجد البارزاني في تصرف ميديا الأخير واقتراحها المتهور باغتيال الشاه، فرصة لتصفية هذه القضية المعلقة من دون المساس بشيروان؟

هذا السؤال طرحه شيروان على نفسه لكن بعد أن عرف بجميع تلك التفاصيل من ميديا نفسها، عندما زارها في السجن وحدثته عن وشايات وشائعات كثيرة تعرف بأنها وصلت مسامع البارزاني

، عن علاقتهما.

(٢٥)

كانت السحب البيضاء، كندف القطن تسبح في السماء، عندما بدأ المقاتلون يتقاطرون، يتبع بعضهم بعضاً، في سلسلة طويلة، باتجاه الجبال المحيطة بمدينة نغره شمال مهاباد، وعلى الرغم من الشعور بالإحباط والمرارة، المسيطر على الجميع، ومن إحساس كامن باحتمالات التعرض لمخاطر غير محسوبة، فقد أضفى ذلك الفجر الناصع البياض والهادئ من نهاية آذار، نوعاً من الراحة النفسية، زادها ألفة وصفاء، ضجيج الأطفال وصخبهم وهم يمتطون ظهور الدواب مع أكياس المؤن وصناديق العتاد والأسلحة. لكن هدوء ذلك الصباح الربيعي كان أشبه بالهدوء الذي يسبق العواصف، فبعد مسيرة ساعات قليلة في شعاب ذلكالجبل الأجرد، بدأت تلك السحب المنخفضة، التي كانت كندف القطن قبل قليل، تزداد كثافة وقتامة، وما أن بلغت مقدمة الرتل الطويل قمة ذلك الجبل، حتى بدأ رذاذ الهواء البارد الممزوج بندف الثلج يصفع الوجوه. توقف الرتل للغداء وانتظار ما ستسفر عنه العاصفة. وصدرت أوامر سريعة بزيادة الاحتياطات لحماية الأطفال والجرحى خاصة،

من صقيع البرد والتحسب لمرحلة قادمة أكثر قسوة، فبعد مسيرة نصف يوم تقريباً سيبدأ الرتل بتسلق جبال زاكروس، حيث تصل سماكة الثلوج أحياناً إلى ثلاثة أمتار. انشغل البعض من المقاتلين بصناعة أحذية من إطارات مطاطية قديمة كانوا جلبوها معهم لهذا الغرض، فمثل هذه الأحذية تتمتع بميزتين أساسيتين فهي أولاً متينة وثانياً لا تصدر صوتاً أثناء المسير، خاصة عند المرور في جوار القرى والقصبات المتناثرة في السفوح، حيث كانت الأوامر واضحة وصارمة بعدم دخول هذه القرى لأي سبب، إلا بقرار من القيادة العليا، خشية من وشايات بعض السكان للقوات الإيرانية، التي بدأت بمطاردتهم منذ ساعة رحيلهم عن مهاباد.

كان الانحدار عن ظهر ذلك الجبل الأجرد، باتجاه السفح المؤدي إلى الأراضي التركية ومن ثم إلى سلسلة زاكروس الجبلية، حاداً إلى درجة خطرة، ومما زاد فيدرجة خطورته أكثر، استمرار وتزايد هطول الثلج الممزوج بالمطر، الأمر الذي جعل من الطرق النازلة نحو الوادي زلقة وغير واضحة المعالم. هبط أول رتل من المقاتلين بحذر، تبعه رتل من الدواب المحملة بالمؤن والعتاد وبعض الجرحى، وبعد دقائق معبأة بالصمت والترقب، دوّت صرخة حادة مكتومة من عمق الوادي، منع تساقط الثلوج سماع أصدائها. لكن مَن كان في مقدمة الرتل أدرك، دون أن يرى شيئاً، أن دابة تحمل أحد

الجرحـى، انزلقت قوائمهـا في برك الوحل وهـوت في القعر. توقف الرتل فجأة، نظر المقاتلون إلى بعضهم البعض بحزن وحيرة إذ لم يكن بالإمكان فعل أي شيء سوى التمسك بمزيد من القوة بالأرض الموحلة والزلقة تفادياً لحادث آخر. كان ذلك الجريح الذي انزلقت بـه الدابـة إلى قعر الوادي أول ضحايا طريق الآلام، في تلك الرحلة القاسية، التي بدت لهم وكأنها من صنع الأقدار.

(٢٦)

قبل بلوغ الأراضي التركية بمسافة ساعات قليلة، عاد المقاتلون الذين أرسلوا لاستكشاف الطريق، بأخبار سيئة، استقوها من سكان قرية حدودية، مفادها أن قوة إيرانية مدججة بالأسلحة الخفيفة والثقيلة، وصلت مسـاءيوم أمس إلى المنطقة وهي تعسـكر على رؤوس التلال القريبة المطلة على السفح.

عقد البارزاني أول اجتماع لقادة الفصائل، منذ انطلقوا من مهاباد، دارت فيه مناقشـات سـاخنة بين الداعين للاسـتمرار في المسـيرة ومواجهة القوة الإيرانية إذا لزم الأمر، وبين المعارضين لهذا الخيار والمطالبـين بتجنب الصدام والبحث عن سـبيل آخر. كان البارزاني شـديد الحرص على تجنب الدخول في معركة جديدة، بعد سلسـلة

المواجهـات التي خاضوها في مهاباد، إذ على الرغم من أنهم أثبتوا جدارة فائقة خلال تلك المواجهات وكبدوا الإيرانيين خسـائر تفوق خسائرهم بكثير، إلا أن ظروف المكان والزمان لم تكن في صالحهم هذه المرة. ولكي يحسـم النقاش بين الفريقين، قال لهم البارزاني: لم نقطـع من المسـافة الـتي تفصلنا عن هدفنا، سـوى القليل، وها أنتـم ترون أن البعض قد اهترأت أحذيتهم بسـبب وعورة الطريق، وازدادت آلام ومعانـاة الجرحـى وأرهقـت النسـاء والأطفال، لهذا يجـب علينا تجنـب الدخول في أية معركة يمكـن تجنبها، فمعركتنا الحقيقيـة، في ظروفنا الحالية، هي بلوغ هدفنا والوصول إلى حدود الاتحاد السوفيتي.

أدرك الجميـع طبيعـة القـرار، الذي اتخذه البارزاني إلا أن سـؤالاً حائـراً بقي مـن دون جواب: إلى أين سـيتوجهون في هـذه الحالة؟ فالطريق إلى الأراضي التركية شـبه مغلق في وجوههم بسبب وجود القوة الإيرانية المرابطة هناك، وخيار البقاء في الأراضي الإيرانية، غـير منطقي ومحفوف بالمخاطر هو الآخر، ولم يبق أمامهم سـوى منفذ صعب ووعر وطويل يؤدي إلى الأراضي العراقية، وهي ليسـت هدفاً لمسيرتهم في الأصل.

تطلّع الجميع إلى البارزاني بانتظار الجواب على ذلك السؤال الدائر في أذهانهـم، فذكرهـم البارزانـي ، وقـد قـرأ في وجوههم ملامح

الحيرة والترقب، بأن خطته الأساسية، كما شرحها قبيل الانطلاق من مهاباد، كانت تقضي باستباق القوات الإيرانية نحو الحدود التركية، ثم العودة والالتفاف من خلف هذه القوات والاتجاه شمالاً نحو الحدود السوفيتية، ومادامت القوات الإيرانية قد سبقتنا فعلينا تغيير هذه الخطة في الحال.

تزايد الفضول لسماع قرار البارزاني الأخير بتحديد الوجهة، ولم يكن وارداً أن تكون الأراضي العراقية، هي الوجهة، خاصة بعد ورود الأخبار عن إعدام الضباط الأربعة، واعتقال الشيخ أحمد، الذي حكم عليه بالسجن مدة عشر سنوات.

تطلّع البارزاني ، هذه المرة، بوجوه مساعديه وقال لهم بحزم: ليس أمامنا سوى الأراضي العراقية.. سننام هنا هذه الليلة ونستعد للرحيل فجر الغد صوب بارزان.

(٢٧)

في ذلك الوادي السحيق، القابع تحت صخور جبال زاكروس نُصبت بعض الخيم على عجل، وتوزع فصيل الحراسة على المرتفعات والتلال المحيطة بالوادي. أعُدت مواقد لإشعال النار بين الصخور بغية إعداد الطعام. ومع انحدار الشمس وراء التلال القريبة بدأ

الظلام يهبط رويداً.

في خيمة ربُطت بين شجرتي بطم ضخمتين، لها نافذة واحدة مفتوحة باتجاه الجبل، كانت ميديا جالسة تقرأ، على ضوء فانوس صغير، كتاباً صغيراً مهترئ الأوراق، تحتفظ به في حقيبتها المصنوعة من لباد الصوف أينما ذهبت. بعد أن خيّم الظلام على أرجاء الوادي وانشغل الجميع بإعداد وتناول وجبة العشاء، تسلل شيروان نحو الخيمة. حيا الحارس الواقف على بعد أمتار ودلف إلى داخلها. لم تأت ميديا، وهي تنظر إلى شيروان، أية حركة ولم تبد اهتماماً بمجيئه،واكتفت بنظرة محايدة ومعاتبة، ثم عادت تنظر إلى الكتاب بين يديها.

قال شيروان، وهو لايزال يقف عند باب الخيمة المنسدل وراءه:

ـ قرر البارزاني أن نغير وجهتنا.. فالقوات الإيرانية تغلق الطريق نحو الأراضي التركية.. وليس أمامنا سوى الأراضي العراقية..

ابتسمت ميديا بشيء من اللامبالاة قبل أن يكمل شيروان كلامه ثم أغلقت الكتاب بهدوء وهي تنهض لتقف بمواجهته. كانت ميديا أطول وأضخم جسداً من شيروان، شعرها طويل، هو الآخر، تشده بمنديل أزرق فيصير أشبه بذيل الفرس، ينسدل على ظهرها. تطلّع شيروان إليها وهي تنهض. نظر ملياً في عينيها الخضراوين وقامتها الفارعة فاجتاحته رغبة عارمة باحتضانها، حاول الاقتراب منها

لكنه انتبه فتوقف فجأة، فالوقت لا يناسب مثل هذه الرغبات.
نظـرت ميديا في عينيه لحظة وكأنها حدسـت بما يعتريه من شـوق ولهفة، قالت:
ـ في مهاباد، عندما أجلسـني البارزاني بجانبه.. تذكر هذا المشـهد بالتأكيد.. قال لي هامسـاً.. عندما تكونين بين الرجال حاولي أن لا تظهري وكأنك أكثر شجاعة منهم.. ثم قال لي.. من يتخذ القرارات هنـا ليس كل هؤلاء الرجـال الذين ترينهم إنمـا واحد منهم فقط تعرفينه جيداً... لهذا يا شيروان، رفعت ميديا من نبرة صوتها، أنا أعـرف أن مصيرنا، أو مصيركم أنتم أيها الرجال، لا يقرره سـوى رجل واحد، وقد يذهب بكم إلى حافة الهاوية.
حـاول شـيروان أن يبقى هادئاً.. قال: لكن لـو تبعناك لكنا الآن في قعر الهاوية وليس على حافتها، و البارزاني يريد أن ينجو بنا جميعاً من هذا المأزق، لذلك منعك من ارتكاب حماقة قد تتسبب في حمام دم لإخوتنا أكراد إيران، ومنع البعض من الدخول في معركة خاسرة مـع القـوة الإيرانيـة التي تقطع الطريـق لأن المكان والزمان ليسـا مناسبين. وهو محق في ذلك.
ـ وها أنتم في مفترق طرق، ردت ميديا، فلا أنتم بمنجى من الخطر ولا بوسـعكم مواجهة هذا الخطر والقضاء عليه، أنتم الآن تشبهون من يضع القيد في يده ويجلس بانتظار معجزة القدر...

سمع شـيروان حركة خارج الخيمة، فأشار لها بأن تخفض صوتها، ثـم قال وهو يهم بالخـروج: كنت أنتظر تغـيراً في وجهة نظرك كي أطلب من البارزاني أن...

قاطعته ميديا، وهي تعود لتلتقط كتابها الصغيرة:

ـ لا ضرورة لإطلاق سراحي فالجميع ليسوا أحراراً هنا.

أسـدل شـيروان باب الخيمة خلفـه بانزعاج وعبـارة ميديا ترن في رأسـه، ومـا أن قطـع بضع خطوات نـزولاً نحو المعسـكر، حتى كاد يصطدم بجسـد ضخـم كان يقطع عليه الطريق بين الأشـجار، لم يتبـين ملامحـه في تلك الظلمـة الحالكة، لكنه سمع عبـارة (كاكه شـيروان؟) تطلق في وجهه كسؤال مريب. وقبل أن يرد على السؤال كان ذلـك الشـبح الضخـم قـد اختفى في الظلمة. شـعر شـيروان بقشـعريرة تجتاح جسده كله. سـار خطوات ثم توقف، شغلته فكرة أن تتعـرض ميديا لمكروه وهي في خيمة السـجن. فكّر بالعودة إليها لتحذيرها لكنه خشي من أن يكون إحساسه خاطئاً فيشغلها بالأمر. واصل سيره نحو خيمته مشغولاً بأسئلة لا أجوبة عليها.

(٢٨)

نهـض البارزاني غاضباً وهو يسـتمع لتفاصيل قصـة مريبة وبذيئة كان يرويها على مسـامعة قائد فصيل الحراسـة نوزاد. شـيروان.. شيروان.. شيروان.. ظل البارزاني يردد بنفاد صبر، وقائد الفصيل يجيبـه بنعـم بعـد كل مرة يرد فيها الاسـم. ونحـن في هذه المحنة يـا شـيروان.. في هذا المأزق لا نعـرف وجهتنـا ولا مصائرنا.. كان البارزاني يحدّث نفسـه، وقائد الفصيل يـرد عليه بنعم، نعم، نعم، كيف يسمح لنفسه، كيف.. كيف وماذا سيقولون عن الـ.. أراد قائد الفصيل أن يتكلم فمنعه البارزاني هذه المرة بإشـارة من يده وطلب منه أن يغادر.. ظل البارزاني يقطع الخيمة جيئة وذهاباً وهو غارق في التفكـير ويدخن بعصبية. قرفص علـى الأرض وراح يلف المزيد من السـجائر ويضعها على الأرض الواحدة جنب الأخرى ومبسـمه في فمه ينفث منه الدخان.

(٢٩)

مجموعة من المقاتلين ملتفين حول موقد نار، يشـربون الشـاي من إبريق كبير محترق. بعضهم نائم.

المقاتل نامق (وهو يهم بالنهوض، يلتقط بندقيته من الأرض ويتحدث بحرارة).

- أين يذهب البارزاني نذهب معه.. لا أحد سواه يعرف المسالك والمنافذ، ويعرف، قبل ذلك، مصلحتنا ومصلحة شعبنا.

المقاتل صابر (كأن الكلام كان موجهاً إليه):

- لا نختلف معك يا نامق اجلس أولاً لنكمل الحديث بهدوء.. هيا.. هيا اجلس وأكمل شايك. (يجلس نامق نصف جلسة) جميعنا جئنا مع البارزاني وسنبقى معه ونذهب أينما ذهب، لكن أليس من حقنا أن نقول رأينا.. هاه.. قل لي بربك هل تقبل أن نفرّ من أمام قوات الشاه، كلما واجهناها، وأين سنذهب هذه المرة.. ها.. كل الطرق مغلقة بوجوهنا.

نامق (يقاطعه بنفاذ صبر):

- اترك الأمر لأصحاب القرار، لا شأن لك أنت، أنت مقاتل عليك تنفيذ الأوامر فقط.. هل سمعت أن جندياً اعترض على قرار قيادته؟ بل على قرار ضابط صف فقط؟ وأنت تريد أن نعترض على البارزاني نفسه... الله أكبر.

(ينهض بانزعاج ويخرج من الخيمة).

(بعد خروج نامق يسود الصمت داخل الخيمة. يُسمع فقط هسيس النار في الموقد).

صابر (ينظر في وجوه بقية المقاتلين متسائلاً):

ـ هل قلت شيئاً غلط؟ من يسمع كلام نامق سيقول إننا نريد التمرد أو عصيان الأوامر.

مقاتل ١ (وهو يهم بالنهوض والخروج من الخيمة):

ـ كان المفروض أن لا تتحدث أمامه.. أنت تعرف كيف يجري نقل الكلام وتحريفه هذه الأيام..

(يخرج)

مقاتل ٢ (يوجه الكلام إلى صابر، مشيراً إلى كلام المقاتل السابق):

ـ معه حق، فالبعض صار يتحدث عن جماعة ميديا وفصيل ميديا، كأنهم يتحدثون عن عصابة أو عن جواسيس، مع أن ميديا أشجع منهم جميعاً.

صابر (وكأنه تذكر ميديا فجأة):

ـ صحيح هل زارها منكم أحد، قد تكون بحاجة لشيء.

مقاتل ٢ (وهو يهز برأسه نفياً):

ـ لا يسمح نوزاد بزيارتها، وبالأمس هدد حارس السجن إذا سمح لأحد بالدخول أو حتى الحديث معها.

مقاتل ١:

ـ لا أعرف لماذا يحقد عليها هذا النوزاد؟:

صابر (وهو يهم بالنهوض. منهياً الحديث):
ـ السـبب بسيط.. لأنها امرأة شـجاعة وسبق لها أن رفضت الزواج منه هذا كل شيء.

(٣٠)

الصمت يسود كل شيء.. خيوط الفجر تتسرب ببطئ شديد فتكشف ملامـح أشـباح تتحرك بهـدوء بين الأشـجار وبالقرب مـن خيمة السجن.
تمدد شـيروان على بطانيته مشغول الذهن تفترسه هواجس شتى، فمـا حدث معه الليلة، وهو يخرج من خيمة ميديا، كان نذير شـؤم أدخل الخوف إلى قلبه.. ومع أنه افترض، مراراً، وهو يحدث نفسه، أن الأمـر قـد يكون مجرد مصادفـة، إلا أن الافتراض الأسـوأ ظل شـاغله، فهو يعرف أن ميديا مسـتهدفة بسـبب جرأتهـا وسمعتها وربما جمالها أيضاً، فهناك كثيرون ممن لا تدخل في عقولهم فكرة أن امـرأة لم تكمـل العقد الرابـع، يمكن أن يتردد اسمهـا مقروناً بالاحـترام والإعجـاب، كما هو الحال مع ميديـا. أو أن تعامل على قدم المسـاواة مع الرجال من أمثالهم قضوا أعمارهم وسط وعورة العيش والمخاطر والمعارك، بل وأن تخاطب البارزاني نفسـه وكأنها

تخاطب واحد من مقاتلي فصيلها. ومع هذا كله، قال شيروان، مع نفسه، ليس هناك من يجرؤ على الإساءة لميديا في وجود البارزاني ، وهو نفسه أمر باعتقالها لا عقاباً لها، إنما لمنعها من تنفيذ فكرتها المتهورة عن اغتيال الشاه، ومعنى هذا أنه كان يريد حمايتها من تهورها. ظل شيروان يحدّث نفسه مقلباً الاحتمالات والمخاطر، وكانت الساعة قد تجاوزت الرابعة فجراً فنام الجميع وساد الصمت أرجاء الوادي. شعر شيروان بخدر النعاس يتسلل إلى جسده، بعد أن أنهكته الأفكار والخيالات، فمد يده ليسحب طرف البطانية تحسباً لصقيع الفجر، ولم يكد يغمض عينيه حتى دوّت رصاصة من بعيد، اخترقت الصمت ومزقت هدوء الوادي. تيبست أطراف شيروان وتجمد الدم في رأسه، وما هي إلا لحظات حتى شقت سماء الوادي صرخة مدوية ظلت تتردد في الأرجاء.. مـ..ي.. د.. يامـ.. يـ.. د.. يـ.. ا. وكان شيروان يركض كالمجنون في الظلمة نحو خيمتها المشدودة بأشجار البطم الضخمة.

(٣١)

البارزاني جاثماً على ركبتيه يصلي. ثلاثة من قادة الفصائل يقفون في زاوية الخيمة. ينتهي البارزاني من الصلاة فيمد يده إلى حقيبة

جلدية مركونة جانباً فيخرج منها لوح خشب مربع الشكل وأوراق بيضاء وقلماً ذهبياً. يخط على ورقة بيضاء بعض الكلمات ثم يوقّع تحت الكلمات. يمسك بالورقة المكتوبة ويمد يده. يتقدم أحد قادة الفصائل فيستلمها منه بخشوع. ثم يخرج يتبعه الاثنان الآخران.

(٣٢)

بدأ المطر يهطل ولكن خفيفاً. حشد من المقاتلين تبدو على وجوههم ملامح الحزن، يشكلون دائرة. أربعة منهم يتقدمون نحو حفرة في الوسط أعدت للتو، فينزلون فيها جثة (ميديا) ثم يهيلون التراب عليها ويرشونه بالماء. يأتي بعض المقاتلين بكمية من الصخور الكلسية الحمراء فيصفونها بانتظام فوق القبرثم يثبتون شاهدة من الخشب في مقدمة القبر. يقرأون سورة الفاتحة وينفضّون من حول القبر، فيظهر شيروان واقفاً لوحده فوق القبر وهو يمسك بكتاب صغير (كتاب ميديا نفسه) بين يديه يقف خلفه بمسافة العجوز رحمان.. حزيناً والدموع تترقرق في عينيه.

(٣٣)

قادة الفصائل الثلاثة واقفون وسط الخيمة وقفة عسكرية. وفي زاوية مـن الخيمة يقف مقاتل وبندقيته بيده. يبدو نوزاد جالسـاً مطأطئ الرأس ويداه مقيدتان إلى الوراء. يتقدم أحد القادة بضع خطوات، يخرج من جيبه ورقـة بيضاء (الورقة التي وقعها البارزاني) ويبدأ بتلاوة المكتوب فيها على رأس نوزاد.

بسـم اللّه الرحمن الرحيم.. {ومن قتل نفسـاً بغير حق فكأنما قتل النـاس جميعـاً} ثم بعدئذ يُسـمع صـوت إطلاقة رصـاص خافتة، يشاهد القادة الثلاثة، بعد ذلك، وهم يخرجون من الخيمة الواحد تلو الآخر، تبدو على وجوههم ملامح التجهم والكآبة.

(٣٤)

أنهى المقاتلون استعداداتهم للرحيل في جو حزين وكئيب زادته الغيوم الداكنة، التي تلبد السـماء فوقهم، وتنذر بمزيد من الأمطار، كآبة

ـ أبداً.. لدينا أربعة من المقاتلين، غير شيروان، ظهرت على أقدامهم أعـراض الكنكرينا، ولابد من علاجهم سـريعاً، لأن الانتظار معناه امتداد الكنكرينا، لذلك أرجو أن تحدّث شيروان وتقنعه لأنني سبق وأن حدثته لكنه طلب التريث.

البارزاني (يائساً):

ـ مادام الأمر بهذه الخطورة... غداً انشاء الله.

(يخرج الطبيب قادر)

(٤٣)

تبدأ المسـيرة صعودها، مرة أخرى، باتجاه قمة زاكروس، ويترافق ذلك مع أسـوأ مناخ يشـهدونه طوال رحلتهم. يبدأ المطر، مصحوباً برذاذ الثلج، يتسـاقط بكثافـة فتتحول الطرق الصاعدة نحو القمة إلى أوحال نازلة تمنع المسـير. يسـتمر الهطل فترة مصحوباً برياح صقيعيـة باردة تدفعهم إلى الاحتماء بالصخور والأشـجار. تُسـمع نـداءات بالتريث (توقفوا... توقفوا.. لا أحد يصعد) ثم يبدأ بعض المقاتلين باسـتخدام حبالغليظة يتمسـكون بها الواحـد بعد الآخر، في سلسـلة طويلـة تضمن بقاءهـم متقاربين من بعضهـم البعض. تهـدأ الريـح ويخف هطل المطر تُسـمع نداءات جديـدة (تحركوا..

هيـا تحركوا بسـرعة) فيبـدأون بالصعود وهم ممسـكون بالحبال الغليظة. يجاهد بعض المقاتلين لدفع الدواب إلى الصعود غير أنهم يفشـلون فقد أفلتت دابة وعادت القهقري إلى الوادي، تبعتها ثانية انزلقت قوائمها فسقطت وتدحرجت مع ما تحمل من مؤن وجرادل مياه الشـرب. بلغ الرتل الأول قمة الجبل فشـد طرف الحبل الغليظ بشجرة ضخمة مما سهل على الباقين الصعود.

عندمـا بلغـوا القمة، وكانت الشـمس قـد هبطت في الجهـة الثانية مـن الجبل، كانـت الرياح الصقيعية بانتظارهـم فتفرقوا للاحتماء بالصخور والمغارات والكهوف. سـاعات طويلة وهم تحت رحمة هذه الريـاح، الـتي كان يمكـن أن تقذف بالإنسـان من فـوق القمة، إن لم يكن متمسـكاً بحجـر أو محتمياً به. بعد أن خفـت الرياح قليلاً وبدأت خيوط الفجر تكشف المكان، أمر البارزاني باستئناف المسير وسـار في المقدمة وهـو يحمل بندقيته على كتفـه ويضع على الكتف الأخـرى حقيبة اللباد المصنوعة مـن الصوف. يتبعه على بعد أمتار قليلة،شـيروان مع اثنين من المقاتلين أمرهما البارزاني بمسـاعدته عند الضرورة.

لم تكد تمضي سـوى سـاعات قليلة حتى بدأ التعب يدب في أجسـاد الجميع بسـبب صعوبة الطريـق جراء تراكم الثلـوج فطلب البعض ساعة للاستراحة إلا أن تلك الساعة امتدت ساعات أخرى انشغلوا

فيهـا بدفن مقاتلين اثنين من كبار السـن كانـا فارقا الحياة جراء الإرهـاق والإعيـاء. كان البارزاني يدرك، وهو يحث الخطى محاولاً قطع أطول مسـافة قبل غروب الشـمس، أنهم لن يهبطوا عن ظهر تلك القمة اللعينة بأقل من عشـرة ضحايا وخاصة من كبار السـن أو ممـن كانـوا يعانون من إصابات وجروح وقـروح في أقدامهم، إلا أن مـن كان يشـغله أكثر هو شـيروان بالذات، ففـي آخر مرة لمحه فيهـا وهو يسـير خلفه، وجـده يتكئ على كتف أحـد المقاتلين وعلى وجهـه علائـم معاناة من ألم شـديد. وها هو ينظـر إليه الآن مرة أخرى فيراه يترنح في مشـيته وهو يسحل قدمه المصابة سحلاً على الثلج. فيأمر بالتوقف عن المسـير ويطلب مـن الطبيب قادر تنفيذ مقترحه السابق. كان قادر، يسابق الرتل بين الحين والآخر ثم يعود إلى الخلـف في حركـة دائبة، كي يكون حاضـراً إذا ما احتاجه أحد لعلاج أو لمساعدة. وخلال الاستراحة الأخيرة كشف قادر على قدم شـيروان فوجدها في أسـوأ حـال، فذهب وأخبر المـلا مصطفى أن الحل الوحيد المتبقي أمامه هو بتر قدم شـيروان لمنع الكنكرينا من التمدد أكثر لكن شـيروان طلب تأجيـل الأمر حتى ينزلون عن قمة الجبل.

أوقف البارزاني ، شـيروان وطلـب منه الانصياع لقرار الطبيب فهو أعرف بالتوقيت المناسـب، كما قال له، ثم إن هناك مسـافة طويلة

متبقيــة قبل نزول القمة، والانتظار في هــذه الحالة معناه الانتحار. رضخ شــيروان أخيراً لنصائح البارزاني وبــدأ قادر تحضير أدواته لإجراء عملية البتر بأقصى سرعة.

(٤٤)

شــيروان، ممدداً على بساط داخل الكهف، يجلس بقربه البارزاني واثنان من المقاتلين. يبدو الطبيب قادر مشــغولاً بتســخين مشــرط علــى موقــد النــار، بقربه كمية كبــيرة من لفافات الشــاش الطبي والمواد المعقمة.

الطبيب قادر (للمقاتلين):

ـ انزعــا اللفافــات والجوارب عــن قدمه (ينزع المقاتــلان اللفافات والجوارب فتظهر قدم شيروان وكأنها خشبة محترقة) جاهزون؟

يمد البارزاني يده إلى خشــبة صغيرة ملفوفة بالشاش ويضعها بين أســنان شيروان، فيما يمسك هو بكتف شيروان والمقاتلان بساقيه. يبدو المشــرط وقد أصبح قطعة من نــار. يتقدم الطبيب قادر وبيده المشــرط.. تظهر قدم شــيروان وهي تنز قيحاً.. ثم يُســمع هسيس النار في اللحم. الهدوء يســود المكان.. ثم تنطلق صرخة شــيروان.. صرخة حادة تتردد أصداؤها في زوايا المنحدر والوادي، بعدها يعود

الصمت ليسود ثانية.

(٤٥)

يتقاطر المقاتلون وراء بعض في سلسلة طويلة. يبدو الإرهاق على الجميع. يشاهد مقاتل وهو يشرب آخر قطرات الماء لديه. مقاتل آخر يتوقف ثم يسقط مغمياً عليه فيهرع القريبون منه لنجدته. يصل الطبيب قادر ويحاول إعادة المقاتل لوعيه.

الطبيب قادر (موجهاً الكلام للمقاتلين من حوله):

ـ أعطوني ماء بسرعة.

يتقدم مقاتل فيعطيه مطريته. يرجها قادر فيكتشف أنها شبه فارغة.

الطبيب (للمقاتل):

ـ فارغة!

المقاتل (لقادر.. بنفاذ صبر):

ـ هذا آخر ما لديّ!

(يصل نامق فيعطي الطبيب مطرية فيها ماء.. يقرّب قادر المطرية من فم المقاتل المغمي عليه، فيكتشف أنه فارق الحياة).

الطبيب قادر (بأسى وكأنه يحدث نفسه):

ـ لا إله إلا الله. (يغمض عيني المقاتل ببطن كفه).

(٤٦)

أفاق شيروان من غيبوبته على أصوات أزيز رصاص تتردد أصداؤه في جنبات الوادي، فشعر بالفزع عندما وجد نفسه وحيداً ممدداً على بطانية تحت ظل شجرة جوز ضخمة. حاول أن ينهض فامتدت إلى كتفه يد أعادته برفق. قال له الطبيب، حمداً لله على سلامتك... فوجئنا بقوة إيرانية كامنة في سفح الجبل فكان الاصطدام بها اضطرارياً، لكن اطمئن فنحن بعيدون عن ساحة المعركة... ثم سأله ما إذا كان يشعر بالألم، فقال له شيروان نعم ولكن ما يشغلني ليس الألم، إنما كيف سأمشي وأواصل معكم المسيرة.. ابتسم له قادر قائلاً: لا تهتم بذلك لايزال لدينا بعض الدواب. عاد الرصاص يلعلع في أجواء الوادي.. فأجفلا معاً ثم خف شيئاً فشيئاً حتى ساد الهدوء تماماً. بعد حوالي نصف الساعة، استعاد فيها شيروان وعيه وجلس ساناداً ظهره على جذع الشجرة، بدأ المقاتلون يتقاطرون على الوادي من التلال المحيطة وهم يحملون بعض الجرحى. وفي أثرهم عاد الملا يحيط به بعض المقاتلين. توقف عند شيروان لحظة ليطمئن عليه، ثم أمر بالاستعداد سريعاً لاستئناف المسيرة، قبل أن

يرسل الإيرانيون تعزيزات إلى المنطقة.
تزايـدت الصعوبات بعد تلـك المواجهة فقد قتـل خلالها ثلاثة من المقاتلـين وأصيـب أربعـة ما لبـث اثنان منهـم أن توفيـا متأثرين بجروحهمـا البليغـة. فزعت بعض الـدواب في أثنـاء تبادل إطلاق النار، ففرّت هاربة وهي تحمل مؤناً وجرادل مياه الشـرب فتفاقمت المحنة جراء النقص الحاصل أصلاً في المؤن والمياه.
بعد يومين من المسير شبه المتواصل بلغ الإرهاق بالجميع، حداً مروعاً ولم يكن ذلك بسبب وعورة الطريق ومنزلقاته، التي عجلت باهتراء أحذية المقاتلين وتشقق أقدامهم، بل وكذلك من جراء النقص الحاد في كميات الطعام والمياه، الأمر الذي اضطر البعض منهم للشـرب مـن مياه البرك المتجمعة من سـيول الثلـوج والأمطار فأصيبوا بعد ساعات فقط بإسهالات وآلام معوية منعتهم من مواصلة المسير.

(٤٧)

تذكـر قـادر وهو يعـالج بعـض المصابين بـدواء الأعشـاب، عبارة البارزانـي عنـد انطلاقهـم مـن مهاباد، وبعـد ذلك من بـارزان، سـوف تنهكون وتجوعون وتمشون حفاة.. وها هم حقاً يدفعون ثمن طموحهم للخلاص والبقاء على قيد الحياة، ولكنه كان ثمناً مروعاً

وقاسـياً. فقبيل بلوغ الحدود السوفيتية بمسافة قصيرة كانوا قطعوا ما يزيد على الثلاثمائة وخمسين كيلومتراً سيراً على الأقدام، جالوا فيهـا حدود ثـلاث دول، فمن مهاباد في إيـران اضطروا إلى دخول الأراضـي العراقية، ومنها إلى الأراضي التركية مرة أخرى وها هم يقطعـون بقية المسـافة بين الأراضي الإيرانية والحدود السـوفيتية. كل هذا عبر جبال زاكروس وثلوجها وعبر الطرق الوعرة والمسالك الضيقـة والخطرة، فلم تهترئ أحذيتهـم فقط من جراء ذلك إنما ثيابهم وأقدامهم وحتى صبرهم على مواصلة المسيرة.

فمن نقص المياه واضطرارهم للشـرب من البرك عانى العديد من المقاتلين من آلام الحكاك الذي أصيبوا به، أما خسـائرهم البشرية فقد كانت كبيرة هي الأخرى، فمن بين نحو خمسمائة مقاتل رافقوا البارزاني ، في ذلك الانسـحاب الأسطوري، استشهد نحو ثلاثين في القتال مع القوات الإيرانية، ومات أكثر من عشـرين آخرين بسـبب جراحهـم أو جـراء الإعياء الـذي أصابهم، وفقد أكثر من عشـرة مقاتلين أقدامهم أو سـيقانهم بعد بترها إثـر إصابتهم بالكنكرينا جراء مسيرهم على الثلوج مسافات طويلة.

(٤٨)

مقاتلون يبلون شفاههم من مياه بركة على الطريق، أحدهم يشرب فينهره الآخرون، الإرهاق بادياً على وجوه الجميع. يشاهد الطبيب قادر وهو يغير ضماد جرح أحد المقاتلين. يشاهد شيروان على ظهر دابة، وبندقيته على كتفه. البارزاني يسير في المقدمة تحيط به ثلة من المقاتلين.

تُسمع نداءات مختلفة، آتية من مقدمة الرتل (النهر.. النهر) يركض البعض لصعود التلة. يبدو نهر آراس خلف التلة مباشرة وهو يجري هادراً. تتصاعد النداءات ويعلو الضجيج وتعم الفرحة. المقاتلون يعانقون بعضهم بعضاً. يركض البعض نحو البارزاني فيستقبلهم وهو يفرد ذراعيه ليعانقهم. بعض المقاتلين يبكي وهو يعانق البارزاني ، فيما البارزاني يبتسم ويربت على أكتافهم.

(٤٩)

وقف شيروان، وهو يتكئ على عكاز نحته له أحد المقاتلين من غصن شجرة جوز، على تلة تشرف على نهر آراس يتأمل جريان المياه الهادر، كانت نظراته تائهة وغائمة... هذه هي الحياة، هكذا

تجري مسـرعة فتأخذ معها الأيام والسنين والأعمار والمصائر دون عودة، حدّث شيروان نفسه وطيف ميديا يرفرف أمام عينيه... ظل يحدق في الفراغ فيما الطيف يرفرف كفراشة لا يريد الإمساك بها كي لا يتبدد الحلم.

تنفس بعمق وكأنه عاد إلى الوعي الآن، عندما سمع صوت البارزاني يأتيه من بعيد وهو يأمر بعض المقاتلين الشـباب بعبور النهر وربط طـرف الحبل الطويل والغليظ بالصخور على الضفة المقابلة، فعبور ذلـك النهـر الهادر مخاطرة بحـد ذاتها، بل هـو مغامرة محفوفة بخطـر داهـم بالنسـبة للبعـض من كبار السـن والجرحـى. تطلع شيروان صوب المقاتلين الشـباب، الذين بدأوا يهبطون من الجرف الصخـري للنهـر وهـم يمسـكون بأيدي بعضهـم بعضاً، سـاحبين معهـم طرف الحبل الغليظ، الذي ربطوه بإحكام على جذع شـجرة ضخمـة علـى الضفة الإيرانيـة. كان صوت البارزانـي لايزال يأتيه مـن بعيد، تـارة وهو يوجـه الأوامر للمقاتلين وأخـرى وهو يلاطف مسعود الصغير الملفوف في مهد من الصوف، فيأتي معه طيف ميديا وصـوت الرصاصة التي دوّت في الوادي، فهشـمت رأسـها الصغير، صوت الهسـيس الخافت لذلك المشرط المحمي على النار، وهو يحزّ لحـم قدمـه اليمنى. صـوت الرصاص في المعركـة الأخيرة.. صوت العصفـور الوحيـد الذي ظل يغـرد عندما تركـوا ميديا تحت كومة

الأحجار الكلسية، التي رتبها بانتظام فوق قبرها.. صوت الصرخة المكتومة لتلك المرأة، وهي تحضن طفلها بين ضلوعها نازلة صخرة بعد صخرة في عمق الوادي.. ثم صارت تأتي الألوان، ألوان أشجار البطم الخضراء الداكنة لحظة فتح عينيه للمرة الأولى بعد غيابه عن الوعي.. ألوان الأعشاب التي كان ينشرها البارزاني على بساط خارج خيمته كي تتيبس فيحولها إلى أدوية يحتفظ بها في صرر وعلب من النايلون.. ألوان تلك الراية التي ارتفعت في ساحة جوار جرا فارتفعت معها أعناق الآلاف من البشر التواقين للحرية والانعتاق.. ألوان العيون الخضراء والزرقاء والسوداء، التي هطلت منها الدموع مدرارة في تلك اللحظات الصاخبة.

جاءه الصوت.. صوت الملا مصطفى، مرة أخرى، وهذه المرة من قريب.. بل هو يناديه الآن.. تطلّع نحو مصدر الصوت فكان البارزاني لايزال مقرفصاً جنب مهد مسعود الصغير يلف آخر سيجارة من كيس التبغ ليدخنها بمبسمه المصنوع من خشب الورد قبل عبور النهر.. يا لهذا الرجل العنيد، قال شيروان، من أي حجر كوردستاني منحوت؟.. أي قلب نابض وحار يتحرك بين ضلوعه؟.. أية روح مقدامة وجريئة روحه تلك؟..

هل كان يمتلك كل هذا اليقين بالوصول إلى الهدف عندما خطط للمسيرة وهو في قلب المعمعة وفي زحمة مشاعر الخيبة والانكسار

والمـرارة لضيـاع مهاباد؟ هـل كان يدرك حجم الأهـوال والمخاطر الـتي كانت بانتظاره، ومع ذلك أصر على اقتحامها حتى بلغ مبتغاه وأعطـى درسـاً لأعدائه وخصومه، ولرفاقه أيضـاً، عن قوة المراس وشـدة الصبر وقوة الإيمان وشـجاعة الرجال حين يؤمنون بقضايا شعوبهم وبعدالة هذه القضايا ومشروعيتها؟

تزاحمـت الأفكار والأسـئلة في ذهن شـيروان وهو ينظـر إلى ذلك الكهل المقرفص على ضفة نهر آراس يلاطف ولده الرضيع في مهده ويدخن آخر سيجارة بمبسمه الطويل المصنوع من خشب الورد، قبل أن يعبر النهر إلى الضفة الأخرى... يتأمله بحنو وخشـوع وامتنان، فهـا هم أخيراً يبلغـون هدفهم، ها هم الآن يقفـون عند ضفة نهر آراس، الذي يفصل الأراضي الإيرانية عن أراضي أرمينيا السوفيتية، حيث القوات الإيرانية، التي كانت تطاردهم من جبل إلى جبل ومن واد إلى واد آخر، ستصل بعد أيام قليلة من عبورهم النهر فلا تجد على تلك الضفة سـوى اعقاب السـجائر وبعـض الذخائر والبنادق المعطلـة وكتابا صغيرا متروكا علـى الارض ترفرف اوراقه المهترئة بوجه الريـح كجناحي عصفور لا يقوى على الطيران وجثتي رجلين غرقا أثناء عبور النهر.

إنتهت

- جمعة الحلفي
- تولد: العراق – ميسان ١٩٥٢
- عضو الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق
- عضو نقابة الصحفيين العراقيين
- يعمل في الصحافة منذ العام ١٩٧٤
- مسؤول القسم العربي في مجلة الحرية اللبنانية ١٩٨٦ – ٢٠٠٢
- نائب رئيس المنتدى الثقافي العراقي في سوريا ١٩٨٨ – ٢٠٠٣
- أمين عام اتحاد الكتاب والصحفيين العراقيين في الخارج ٢٠٠٠ –٢٠٠٤
- رئيس تحرير جريدة الصباح البغدادية ٢٠٠٥
- عضو مجلس أمناء هيئة الإعلام العراقية للبث والإرسال ٢٠٠٦
- مدير الإعلام في هيئة الإعلام والاتصالات ٢٠٠٦
- مستشار إعلامي في هيئة الإعلام والاتصالات ٢٠٠٧
- الإصدارات:
- ساعة ويذبل الزيتون/ مجموعة شعرية – بغداد ١٩٧٦
- الحزب الشيوعي العراقي والقضية الفلسطينية / دراسة ١٩٨٧
- مليت/ مجموعة شعرية – دمشق ١٩٩٢
- الموقف الإسلامي من المرأة– دراسة مخطوطة ١٩٩٨
- عطر الغايب/ مجموعة شعرية– بيروت ٢٠٠٠
- مسار السنونو / رواية – بيروت ٢٠٠٢
- خارج المتن – مقالات في الثقافة والمثقف ، بغداد – ٢٠١٠
- مئات المقالات والدراسات، السياسية والثقافية، في صحف ومجلات عراقية وعربية ١٩٨٠ – ٢٠٠٣

- website: www.jumoah.com
- Email:Gumoh83@gmail.com